Al Wasl University Journal - Issue (72) - June 2026
ISSN 2791-2949 (Online)

Representation of the Muslim women during the Mongol Invasion period within historical records and poetry texts

Dr. Raed Abdelraheem
AN-Najah National University - Nablus - Palestine

https://doi.org/10.47798/awuj.2026.i72.07

Received: 27-05-2021

Accepted: 28-10-2021

Published: 01-06-2026

Corresponding Author:

rarrabeh@najah.edu

Abstract

During the Mongolian period, Muslim women suffered from various calamities and misfortunes. They were subjected to fear of murder, being capture and rape in the occupied cities which were reached by the invaders. The historical sources discussed the situation of women at the time in the description of the event and poets in their poetry and prose in which they describe the events of the Mongol invasion and the achievements of the Muslim leadership to address it. However, this image was not discovered in a complete scientific study, rather it was talked about in history and poetry during the general description of event, without focusing on highlighting minute details, and manifestations of the representation. From here came this research:

1- Discussing the representation of Muslim women during the Mongol period in historical sources

2- This is demonstrated in the Arabic poetry which accompanied the events

3- Discovering the image of her which was portrayed by the poets

4- Comparison between her representation within the historical novels and prose

The research depends on the descriptive and analytical method. Historical and poetic materials were read from several different sources and its description and analysis to be consistent with the topics of the research which were discussed in the summary and three titles.

1- The representation of women in historical novels

2- Resonance of the Mongol Invasion of the Islamic cities in Arabic poetry and presence of women in it

3- The representation of women in poetry

Keywords: Image, Muslim woman, Mongols, history, Poetry, Mamluks.

صورة المرأة المسلمة إبّان الغزو المغوليّ في العصر المملوكيّ (648هـ- 803هـ) بين الروايات التاريخية والنصوص الشعرية

د. رائد مصطفى عبد الرحيم

أستاذ مشارك - قسم اللغة العربية - جامعة النجاح الوطنية - نابلس - فلسطين

ملخص

عانت المرأة المسلمة إبّان الغزو المغولي في العصر المملوكي مصائب وويلات متنوعة، فقد تعرّضت للخوف والقتل والسبي والاغتصاب والإهانة والإذلال في المدن المحتلة التي وصلت إليها جحافل الغزاة. تحدّثت المصادر التاريخية عن وضع المرأة آنذاك في ثنايا وصف الحدث، وصوّرها الشعراء في أشعارهم وقصائدهم التي رثوا بها المدن المحتلة، أو وصفوا بها أحداث الغزو المغولي، وإنجازات القادة المسلمين في التّصدي له. إلا أنّ هذه الصورة لم تُكشف معالمها في دراسة علمية شاملة، بل جاء الحديث عنها في التاريخ والشعر من خلال الوصف العام للأحداث، دون تركيز على إبراز دقائق الوصف، وتجليات الصورة. ومن هنا جاء هذا البحث لـ:

1- يقف على صورة المرأة المسلمة إبّان الغزو المغولي في العصر المملوكي في المصادر التاريخية.

2- يبيّن صدى هذه الصورة في الشعر العربي الذي واكب الأحداث.

3- يكشف عن الصورة التي رسمها الشعراء لها.

4- يقارن بين صورتها في الروايات التاريخية والشعرية.

اعتمد البحث المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، فقد استقرأ المادة التاريخية والشعرية من مصادرها المختلفة، ووصفها وحلّلها لتتساوق وموضوعات البحث التي جاءت في مقدّمة، وملخص، وثلاثة مباحث:

1- صورة المرأة في الروايات التاريخية.

2- صدى الغزو المغولي للمدن الإسلامية في الشعر العربي وحضور المرأة فيه.

3- صورة المرأة في الشعر.

كلمات مفتاحية: صورة، المرأة المسلمة، مغول، تاريخ، شعر، مماليك.

© 2022 AWU Publishers/ Alwasl University. All Rights Reserved.

مقدّمة

هاجم المغول العالم الإسلامي منذ سنة 616هـ، واحتلوا الكثير من المدن الإسلامية في بلاد ما وراء النهر، والعراق والشام، وأزالوا الدولة الخوارزميّة، ثم العباسيّة، ثم الأيوبية، وكانت الحرب سجالًا بينهم وبين المسلمين، فتارة يَهْزِمون، وينكّلون بالمسلمين ومدنهم: نهبًا، وسلبًا، وقتلًا، وأسرًا، وسبيًا، وتدميرًا، وتهجيرًا. وتارة أخرى كانت تدور الدوائر عليهم، فينهَزِمون أمام الجيش الإسلامي الذي أذاقهم الويلات، والقتل، والأسر، والخوف. وقد استمر هذا الصّراع مستعرًا بين الجانبين في العصر المملوكي حتى سنة 803ه، إذ تمكّن الحاكم المغوليّ تيمورلنك من احتلال الشام، وفعل بها وبسكّانها الأفاعيل.

عانت المرأة المسلمة الكثير إبان هذه الحروب، فاعتدى عليها المغول، قتلًا، وسبيًا، وضربًا، واغتصابًا، وقد كان لذلك كلّه صدى في الشعر العربي الذي صوّر الغزو المغولي، ودخوله العالم الإسلاميّ، فركّزت النصوص الشعريّة على ما آل إليه وضع المرأة المسلمة يومذاك، وقدّمت صورًا مختلفة لما نزل بها من ويلات، ومثل ذلك الوصف يتجلّى في نصوص التاريخ، إذ عبّر المؤرخون فيها عمّا نزل بالمرأة المسلمة يومذاك، فجاء وصفهم في ثنايا حديثهم عن وضع المدن الإسلامية خلال الغزو المغولي لها. وعلى الرّغم من أهمية الموضوع إلا أنّه لا توجد دراسة علمية شاملة جلّت صورة المرأة في هذه النصوص، أو وازنت بين النّصوص الشّعرية والتّاريخيّة المعبرة عن هذه الصورة، ومن هنا هدف هذا البحث إلى:

1. الوقوف على صورة المرأة المسلمة إبان الغزو المغولي في العصر المملوكي في المصادر التاريخية.
2. بيان صدى هذه الصورة في الشعر العربي الذي واكب الأحداث.
3. الكشف عن الصّورة التي رسمها الشّعراء لها.
4. المقارنة بين صورتها في الرّوايات التّاريخيّة والشّعريّة.

وعلى الرغم من ذلك، فهناك بعض الدّراسات السّابقة التي تناولت الغزو المغوليّ وصداه في الشّعر العربيّ، يمكن الإفادة منها في هذا البحث، إذ وقفت على بعض جوانب عامة من صورة المرأة في هذا الشعر في أثناء دراستها قصائد رثاء المدن، ومنها:

1. أصداء الغزو المغولي في الشّعر العربيّ من القرن السّابع إلى القرن التّاسع، مأمون فريز جرّار، مكتبة الأقصى، عمّان، الأردنّ، 1403هـ- 1983م. وهو في الأصل رسالة ماجستير،

أنجزت في الجامعة الأردنية، ومن الأبحاث الأولى التي وقفت على صدى الغزو المغوليّ في الشّعر العربيّ، ولهذا لم تكن نصوصه الشّعريّة تمثّل الحجم الحقيقيّ للأشعار التي واكبت هذا الغزو، فقد عثر على نصوص كثيرة بعدها في المصادر المخطوطة أو المطبوعة، ومع ذلك فقد رسم الباحث جانبًا من صورة المرأة المسلمة بعامة في كتابه، وذلك في أثناء تحليله النّصوص الشّعريّة التي رثت المدن الإسلاميّة.

2. صورة المغول في الشّعر العربيّ في العصر المملوكيّ، لرائد عبد الرحيم، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنيّة، عمّان، الأردنّ، 1997م. فقد استعرض الباحث فيها صورة المغول، ووقف على ما فعلوه بالمرأة المسلمة، كما عبّر عنه الشّعراء، ولكنّ ذلك كان في معرض توجيه البحث إلى صورة المغول، لا التّركيز والتّفصيل في صورة المرأة المسلمة.

3. فنّ الرّثاء في الشّعر العربيّ في العصر المملوكيّ الأوّل، لرائد عبد الرّحيم، دار الرّازي، عمّان الأردنّ، 2003م. وقد استعرض الباحث الأشعار التي رثت المدن الإسلاميّة إبان الغزو المغوليّ في ذلك العصر، ووقف على جوانب من صورة المرأة فيها في أثناء تحليله النّصوص الشّعرية بعامّة.

اعتمد البحث المنهج الاستقرائيّ الوصفيّ التحليليّ، فقد جمع المادة التاريخية والشعرية من مظانّها المختلفة، وراح يصفها ويحلّلها لتتساوق وموضوعات البحث، التي جاءت في ملخص، وثلاثة عناوين:

الأوّل: صورة المرأة في الرّوايات التّاريخيّة.

الثّاني: صدى الغزو المغولي للمدن الإسلاميّة في الشّعر العربيّ وحضور المرأة فيه.

الثّالث: صورة المرأة في الشّعر.

أوّلًا: صورة المرأة المسلمة في الرّوايات التّاريخيّة

بدأ الغزو المغولي للعالم الإسلامي منذ سنة 616هـ، فهاجموا المدن التي كانت خاضعة للدولة الخوارزمية آنذاك في أفغانستان، أو ما عرفت ببلاد ما وراء النهر، ثم إيران، واستطاعوا احتلالها والقضاء على هذه الدولة[1]، ثم تمكّن القائد المغولي هولاكو[2] سنة 654هـ من الاستيلاء على قلاع الحشاشين أو الإسماعيلية في بلاد فارس، ودخل وكْرهم قلعة ألَمَوت[3]، وكان المسلمون عاجزين عن السيطرة على هذه القلاع قبله[4]؛ ثم توجّه هولاكو بجيوشه نحو بغداد حيث مقرّ الخلافة العباسية سنة 656هـ، واستولى عليها، وقتل آخر خليفة عباسي يومذاك، وهو المستعصم بالله[5]، وقدّ نكّل المغول بحاضرة الخلافة، وقتلوا الآلاف، ونهبوا، وأسروا، ودمّروا، وعاثوا فسادًا، «حتى عادت بغداد بعدما كانت آنس المدن كلّها كأنها خراب، ليس فيها إلاّ القليل من الناس، وهم في خوف وجوع وذلّة وقلّة»[6]، وكانت النساء في بغداد ممّن تعرضن لهمجية المغول، فتناولت المصادر التاريخية طرفًا ممّا جرى عليهن إبان الغزو، فقد قتل عدد كبير منهن مع من قتل في بغداد، وسُبين، واستمر ذلك أربعين يومًا، أو بضعًا وثلاثين يومًا حسب روايات أخرى، يقول ابن الفوطي:

1- انظر ابن الأثير عز الدين أبو الحسن الشيباني، الكامل في التاريخ، حقّقه واعتنى به: عمر عبد السلام تدمري، د. ط، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، 1433هـ- 2012م، 10/ 399 وما بعدها، أبا الفداء، عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، علّق عليه ووضع حواشيه: محمود ديّوب، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 141هـ- 1997م، 2/ 216 وما بعدها.

2- أحد قادة المغول الكبار الذين قادوا الغزو المغولي وأزالوا الدولة العباسية سنة 656هـ ثم الدولة الأيوبية في الشام سنة 658هـ، وهزمت جيوشه في معركة عين جالوت أمام المماليك سنة 658هـ، وهو ابن الإمبراطور المغولي تولوي بن جنكيز خان، وقد أصبح خانًا للمغول في فارس، وكان شجاعًا ذا خبرة في شؤون الحرب، محبّا لعلوم الأوائل. توفي سنة 664هـ. وقد خصّص مؤرخ المغول رشيد الدين الهمذاني ت718 كتابا عن هولاكو ضمن كتابه جامع التواريخ. وانظر الذهبي، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر، حققه: أبو هاجر محمد بن السعيد بن بسيوني زغلول، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت، 3/ 311.

3- إحدى قلاع الحشاشين في إيران، تبعد عن طهران 100كم، وكانت مركز تواجدهم.

4- انظر الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الجزء الثامن والأربعون، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1419هـ- 1999م، 48/ 666، العبر، 3/ 272.

5- أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله ابن أبي جعفر المنصور العباسي، ولد سنة 609هـ، تثقف بثقافة دينية على يد كبار العلماء في عصره، فسمع الحديث، وقرأ القرآن. تولّى الخلافة سنة 640هـ، «وكان حليمًا كريمًا، سليم الباطن، قليل الديانة، حسن الرأي». لكنه لم يتخذ الاستعدادات المناسبة لمواجهة الخطر المغولي، قتله هولاكو بعد احتلاله بغداد سنة 656هـ. انظر الذهبي، العبر، 3/ 281، تاريخ الإسلام، 48/ 673، 818 - 821.

6- ابن كثير، البداية والنهاية، 15/ 314 - 315.

«وما زالوا في قتل ونهب وأسر وتعذيب الناس بأنواع العذاب، واستخراج الأموال منهم بأليم العقاب مدّة أربعين يومًا، فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والأطفال»[1]، ويذكر الذهبي أن القتل والسبي استمر «في بغداد بضعًا وثلاثين يومًا»[2]، ولم « ينج منهم إلا من اختفى»[3].

ويروي بعض المؤرخين أن القتل والسبي شمل بنات أرباب الدولة العباسية في بغداد، فقد كان الرجل «يُستدعى من دار الخلافة من بني العباس، فيخرج بأولاده ونسائه وجواريه، فيذهب إلى مقرة الخلّال تجاه المنظرة، فيُذبح كما تُذبح الشاة، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه»[4]، ويحدّد ابن كثير عدد من سبي من دار الخلافة بـ «ما يقارب ألف بكر فيما قيل والله أعلم»[5]، ويذكر رشيد الدين الهمذاني في مؤلّفه عن هولاكو عددًا يزيد على هذا الرقم، فروى أن الأوامر صدرت بإحصاء نساء الخليفة، فكان عددهن «سبعمئة زوجة وسرية وألف خادمة، فلمّا اطّلع الخليفة على تعداد نسائه تضرّع وقال: مُنّ عليّ بأهل حرمي اللائي لم تطلع عليهن الشمس والقمر، فقال له هولاكو: اختر مئة من هذه النساء السبعمئة واترك الباقي، فأُخْرِج من عند الخليفة معه مئة امرأة من هذه النساء السبعمئة المحببات إليه»[6]. وذكرت المصادر أسماء بعض من قتل من النساء، ومنهم الجارية عرفة، وهي من مولدات العرب كانت تسرّي عن الخليفة، وتضحكه، فأصابها سهم من المغول في أثناء حصار بغداد[7]، واستثنى المغول من القتل بنات الخليفة فاطمة ومريم وخديجة

1- ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل البغداديّ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2002م، ص236، وانظر الذهبي، تاريخ الإسلام، 48/ 36

2- الذهبي، تاريخ الإسلام، 48/ 39، انظر ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن الأتابكيّ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدّم له وعلّق عليه: محمّد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1413هـ - 1993م، 7/ 50.

3- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 7/ 50.

4- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدّمشقيّ، البداية والنهاية، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: رياض عبد الحميد مراد، محمّد حسان عبيد، راجعه: عبد القادر الأرناؤوط، بشّار عوّاد معروف، طبعة خاصة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، قطر، 1436هـ - 2015م، 25/ 316. وانظر ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص234.

5- ابن كثير، البداية والنهاية، 15/ 316.

6- الهمذاني، رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ، نقله إلى العربيّة: محمّد صادق نشأت، محمّد موسى هنداوي، فؤاد عبد المعطي الصيّاد، راجعه وقدّم له: يحيى الخشّاب، د. ط، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، مصر، 1380هـ - 1960م، م2 ق3/ 292.

7- انظر ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص232، ابن كثير، البداية والنهاية، 15/ 312.

وسبوهنّ[1]، ولم يكتف المغول بسبي نساء بغداد، بل سبوا نساء في البصرة كذلك[2]. وهكذا يتبيّن أن عدد النساء اللّواتي سبين في بغداد كان كبيرًا، وكذلك النساء اللواتي قتلن مع من قتل من أهل بغداد، صحيح ليس هناك إحصائيات بعددهن لصعوبة الأمر يومذاك، ولكن تبيّن من فظاعة الحدث، ومدته الزمنية أن العدد الإجمالي كان كبيرًا، ولكن الروايات التاريخية لم تشر إلى حوادث اغتصاب تعرضت لها النساء، ولعلّ سبب ذلك كثرة من قتل من الناس فلم يبق من يروي الأحداث، أو لأن المغول لم يهتكوا أعراضهن جهارًا كما فعلوا في غزوات لاحقة، وربما كثرة القتل الذي نزل بهن وبغيرهن كان شغل الناس عن أية أمور أخرى، ويلاحظ أن همّ المغول في المقام الأول كان القتل والانتقام، ونهب الأموال، فلربما طغت هذه الاهتمامات على غيرها يومذاك.

واحتل المغول بلاد الشام مرات ثلاث خلال العصر المملوكي، وكان أوّلها سنة 658ه، فقد قاد هولاكو حملة إليها، وأزال الدولة الأيوبية منها، وقتل آخر ملوكها، وهو الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز سنة 659ه[3]، وكانت حلب أكثر مدينة تعرّضت لفظائعهم ومجازرهم، فقد حاصروها سبعة أيام، ثم دخلوها وفعلوا بها، كما روى المؤرخون، مثلما فعلوا في بغداد وزيادة، «وقتلوا أكثر من بها»[4]، واستمر القتل والسبي في النساء والأطفال ونهب الأموال ستة أيّام من التاسع من شهر صفر إلى الرابع عشر منه[5]، ويسهب ابن سباط في وصف ما نزل بنساء حلب وصبيانها، فيذكر عدد من سبي منهم، فيصفهم، ويذكر عددهم ثم بيعهم في البلاد، فقال واصفًا ما جرى لحلب يومذاك: «وامتلأت الطرقات والأسواق من القتل حتى كانت عساكر التتر تمشي عليهم بخيولهم لكونهم لا يجدون موضعًا خاليًا من مقتول، وأسروا من النساء والصبيان ما يزيد على مئة ألف نفس،

1- انظر ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص234، ابن كثير، البداية والنهاية، 15/ 316.
2- انظر ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص237.
3- الناصر صلاح الدين يوسف بن غازي بن أيوب، ولد سنة 627هـ، تسلّم السلطة في الدولة الأيوبية سنة 634هـ، وهو آخر ملوكها، أشاد المؤرخون بأخلاقه ودينه وكرمه، لذا كان محبّبًا للرعية، قتله المغول سنة 659هـ بعد أن أسروه. انظر اليونيني، قطب الدين أبو الفتح البعلبكيّ، ذيل مرآة الزمان، دراسة وتحقيق: حمزة أحمد عبّاس، د. ط، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافيّ، أبو ظبي، الإمارات العربيّة المتّحدة، 1428هـ - 2007م، 2/ 140.
4- الذهبي، تاريخ الإسلام، 48/ 49، وانظر الهمذاني، جامع التواريخ، م2 ق3/ 306، أبا الفداء، المختصر، 2/ 310، ابن كثير، البداية والنهاية، 15/ 348 - 349.
5- انظر ابن واصل، جمال الدين محمّد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيّوب، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصريّة، صيدا، لبنان، 1425هـ - 2004م، ص269، الهمذاني، جامع التواريخ، م2 ق3/ 306، الذهبي، تاريخ الإسلام، 48/ 51، ابن كثير، البداية والنهاية، 15/ 348.

وأكثرهم بيعوا في بلاد الفرنج، وبلاد الأرمن، ونقلوهم إلى جزائر البحر البرانية، وكان فيهم من بنات الملوك والأمراء وأعيان الناس الحلبيين المتنعمين خلق كثير، واستولت عساكر التتر على نعمتهم وأولادهم وذخائرهم، وغنموا غنائم عظيمة»[1]، ويؤكد بعض المؤرخين بعض ما ذكره ابن سبّاط، فبيّنوا أن المغول بعد أن احتلوا قلعة حلب أخرج هولاكو من بها من نساء الملوك، مثل حريم صاحب ميافارقين، وحريم الملك الناصر من بنات وأخوات وجوار وأمّهات، وسباهن هولاكو، وقصد بذلك أن يخيف الملوك الذين ما زالوا خارجين عن طاعته[2]. وسبى المغول كثيرًا من النساء الأخريات في المناطق التي شملها غزوهم في الشام، فقد «استولوا على دمشق وسائر بلاد الشام إلى غزّة»[3]، وكانت نابلس من البلدان التي سبي كثير من نسائها، فقد بذلوا فيها السيف «وقدموا دمشق بالسبي، فكان الناس يشترونهم ويستفكونهم منهم بالدراهم المعدودة لكثرة من في أيديهم من السبي»[4]. ويذكر اليونيني أن المغول هاجموا غزة والخليل والسلط وبركة زيزاء والكرك والموجب، فقتلوا الكثير من أهلها، وسبوا النساء والصبيان، ونهبوا الأبقار والمواشي والأغنام وغيرها الكثير، «فلمّا وصلوا دمشق اشتري من الأسرى شيء كثير، وأُطلقوا، وهرب بعضهم، واستصحبوا معهم من بقي»[5]، ويؤكد ذلك ابن واصل إذ ذكر أن المغول وصلوا البلقاء والكرك «ونهبوا وسبوا ما لا يُحصى كثرة، وباعوا بعض الأسرى والغنائم بمدينة دمشق، والباقي باعوه بحلب والشرق»[6]. ولم تنج نساء قلعة حارم من القتل بعد حصارها ثم تسلّمها بالأمان، وقد غضب هولاكو على أهلها، لأنهم رفضوا تسليمها منذ البداية، وبعد أن دخلها أمر بأن يُقتل أهلها «دفعة واحدة مع نسائهم وأطفالهم، ولم ينج منهم إلا صانع أرمني»[7]، ويروي أبو الفداء أنّه سبى نساءهم[8]. وحين رحل عن الشام اصطحب معه

1- ابن سباط، حمزة بن أحمد بن عمر، صدق الأخبار تاريخ ابن سبّاط، عني به وحقّقه: عمر عبد السلام تدمري، ط1، جروس برس، طرابلس، لبنان، 1413هـ - 1993م، 1/ 385، وانظر الذهبي، تاريخ الإسلام، 48/ 50.

2- انظر الدواداري، أبو بكر عبد الله بن أيبك، كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السابع وهو الدرّ المطلوب أخبار ملوك بني أيّوب، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، د. ط، مصادر تاريخ مصر الإسلاميّة بالمعهد الألمانيّ للآثار، القاهرة، مصر، 1391هـ - 1972م، 7/ 46، ابن سباط، صدق الأخبار، 1/ 385 - 386.

3- ابن سباط، صدق الأخبار، 1/ 390.

4- الذهبي، تاريخ الإسلام، 48/ 53.

5- اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 351.

6- ابن واصل، مفرج الكروب، ص274.

7- الهمذاني، جامع التواريخ، م2 ق3/ 307، وانظر

8- انظر أبا الفداء، المختصر، 2/ 312.

كثيرًا من نساء المسلمين[1].

وهكذا يتبيّن أن مأساة نساء الشام كانت عظيمة، فقد نالهن من همجية المغول الهول العظيم، فقتل كثير منهنّ مع من قُتل من المسلمين، ولكن لم يُحدّد عدد المقتولات لصعوبة ذلك، وسبي الكثير منهنّ، وحدّد بعض المؤرخين عدد من سبي من حلب من النساء والصبيان، إلا أن هذا العدد أيضا ليس دقيقًا، لأنه شمل الصبيان، واقتصر على منطقة واحدة، وواضح أن عددهن كان كبيرًا، ولذا كان المغول يحاولون التخلص من كثير منهن في أسواق دمشق وحلب مقابل الأموال، ويبدو أن سعرهن كان رخيصًا لكثرتهن، وكساد سوقهن، وأخذوا معهم الكثير من النساء ممّن لم يُبعن أو ممّن وقع عليهن الاختيار، فبيع بعضهن بأسواق أخرى، وأصبحت أخريات حظايا لدى المغول، ولم تشر كتب التاريخ إلى الاعتداءات التي حدثت على النساء، وما يمكن أن يكنّ قد تعرضنَ له من اغتصاب وانتهاك للأعراض.

وهاجم المغول الشام سنة 699هـ في عهد السلطان المغولي غازان[2]، وقد كان هذا القائد دخل في الإسلام سنة 690هـ[3]، وصدرت له الفتاوى بفساد حكام المسلمين الآخرين، ووردت غير رواية في سبب الفتاوى، بعضها حرّضه على التخلص منهم لأنهم كانوا يرسلون الجنود، ويسبون النساء اللواتي يسكنّ في البلاد الخاضعة لسلطة غازان قرب العراق[4]، ورواية أخرى تبيّن أنّ الفتاوى صدرت بالقتال لأنّ أهل مصر والشام «لا يُصلّون إلا بالأجرة، ولا يؤذّنون إلا لذلك، ولا يتفقّهون إلا بمثل ذلك»[5]. ولعلّ الفرمان الذي أرسله غازان إلى أهل دمشق يومذاك، فيه ما يدل على السبب وراء هذا الهجوم، وهو أنه لمّا رأى أنّ حكام مصر والشام خارجون عن الدين والملّة المحمّدية، ليس لهم عهد ولا ذمّة، ومفسدون

1- انظر الذهبي، تاريخ الإسلام، 48/ 56.

2- هو محمود بن أرغون بن أبغا بن هولاكو، ملك التتار، وصاحب خراسان والعراق وإيران، قاد المغول في معركة وادي الخزندار سنة 699هـ، واحتل الشام، ثم في معركة مرج الصفر سنة 702هـ، توفي سنة 703هـ مسمومًا في همذان عقب هزيمته في معركة مرج الصفر. انظر اليونيني، قطب الدين أبو الفتح البعلبكي، ذيل مرآة الزمان، 1 المجلّد الأوّل، ط1، مطبعة دائرة المعارف العثمانيّة، حيد أباد الدكن، الهند، 1374هـ - 1954م، 1/ 796

3- انظر الهمذاني، رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ - تاريخ غازان، دراسة وترجمة: فؤاد عبد المعطي الصيّاد، حقوق النشر محفوظة للمؤلّف، د. ت، ص639، 283.

4- انظر الهمذاني، جامع التواريخ - تاريخ غازان، ص238.

5- الدوادراي، أبو بكر عبد الله بن أيبك، كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء التاسع وهو الدرّ الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: هاني روبرت رويمر، د. ط، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مصر، د. ت. 9/ 33، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 293.

في الأرض، ومعتدون على رعيتهم وحقوقهم، وقد حملته، كما ورد في الفرمان، «الحميّة الدينية، والحفيظة الإسلامية على أن توجّهنا إلى هذه البلاد، لإزالة هذا العدوان، وإماطة هذا العصيان»[1]. وقد التقى الجيش المغولي والمملوكي قرب وادي الخزندار، شمال شرق حمص[2]، فهزم الجيش المملوكي، ودخلت القوات المغولية بلاد الشام[3]، وكانت دمشق هي المدينة التي نزل بها بلاء الغزاة هذه المرّة، فحين علم أهلها بهزيمة المماليك، وبدخول المغول المدينة «وقعت صيحة عظيمة بالبلد، وخرجت النساء مهتّكات»[4]، « حاسرات لا يعرفن أين يذهبن، والأطفال بأيديهنّ»[5]، وعلى ما يبدو أنّ النساء قد أصابهن الرعب، لما عرفنه عن هذا العدو من همجية، وسوء تعامل، وبخاصة مع النساء، فقد اغتصبوهن في جامع بني أمية في منطقة باب البريد، وانتهكوا عرضهن بعد أن سكروا وشربوا الخمور[6] . ويكثر المؤرخون من الحديث عمّا نزل بالنساء من أسر، وحدّدوا أسماء بعض الأماكن التي نالت منه نصيبًا أكثر من غيرها، ومنها جبل الصالحية بدمشق حيث «أخربوا جميع مساكنه، ونهبوا سائر أمواله، وسبوا حريم أهله وأولادهم وبناتهم، وجرت عليهم أمور عظام لا يُطاق سماعُها»[7]، ويضيف بعض المؤرخين أنّ النساء فيه خرجن مكشوفات الوجوه، وخرج بعض الناس من الجبل عرايا يستصرخون، و»يستغيثون بسبب حريمهم وأولادهم وما جرى عليهم، فمنهم من رجع إليه مأسوره، ومنهم من لم يُعلم خبره»[8]، وسبيت النساء مرتين في دير الحنابلة بالصالحية بدمشق، وبخاصة من بنات المشايخ، ومنهم

1- الدواداري، كنز الدرر، 9/ 21، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 262 - 263.

2- انظر : البرزالي، علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف الإشبيلي الدمشقي ت739هـ،
- البرزالي، علم الدين أبو محمّد الإشبيليّ، المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1427هـ - 2006م. ج1ق2/ 23، الذهبي، تاريخ الإسلام، 52/ 70.

3- انظر اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 250 - 251، الهمذاني، جامع التواريخ - تاريخ غازان، ص 237، 243، أبا الفداء، المختصر، 2/ 381، البرزالي، المقتفي، ج2ق1/ 23، الذهبي، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام، الجزء الثاني والخمسون، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، 1421هـ - 2000م.
ص52 - 70، ابن كثير، البداية والنهاية، 15/ 619، ابن سباط، صدق الأخبار، 1/ 520.

4- الدوادراي، كنز الدرر، 9/ 18.

5- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 8/ 122.

6- انظر الدواداري، كنز الدرر، 9/ 28، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 284.

7- الدواداري، كنز الدرر، 9/ 28، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 172 - 172، الذهبي، تاريخ الإسلام، 52/ 81،

8- اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 252، 273.

القاضي الأديب تقي الدين بن تمام الحنبلي[1]، الذي سبيت بناته، وبعض أقاربه، ويقال إنه في المرة الثانية كان فيه مئة وعشرون بنتًا، ولم يبق فيه إلا القليل[2]، بل قيل سبوا جميع من فيه[3]، وذكر أنّ عدد من أسروا بجبل الصالحية كان أربعمئة[4]. ولم يقتصر السبي على هذه المناطق، فشمل قرية المزّة يومذاك «فنهبوها، وسبوا أهلها، وفعلوا بها كما فعلوا بالجبل»[5]، ودخلوا جامع داريا في دمشق ف»قتلوا منهم خلقًا، وسبوا نساءهم وأولادهم»[6]. وقد ذكر بعض المؤرخين أسماء بعض النساء اللواتي تعرضن للأذى من المغول في دمشق هذه السنة 699هـ، ومنهن أم محمد فاطمة بنت مجد الدين أبي الفتح البعلبكي المتوفية في تلك السنة، فقد «ابتليت بأمور...، وأُسر لها جماعة، فصبرت واحتسبت»[7]. وشمل السبي بلادًا أخرى غير دمشق، فيذكر الذهبي أنهم أسروا من «باقي الضياع والقدس إلى نابلس شيئا كثيرا لا يعلمه إلا الله»[8].

يلاحظ من الروايات التاريخية السابقة أنّ المغول أكثروا من سبي النساء، والاعتداء عليهنّ في الشام بعامة، ودمشق بخاصة، ولكن القتل لم يكن كغزواته الماضية للشام، ويكشف البحث أن مؤرخ المغول رشيد الدين الهمذاني لم يأت على أفعال غازان وجيشه تلك حين أرّخ له، وتحدّث عن احتلاله الشام سنة 699هـ، ولعلّ ذلك كان تجميلًا لصورة سيّده، الذي كان هدفه، كما ادّعوا، نشر العدل، وحماية الدين الذي ابتعد عنه ملوك مصر والشام يومذاك.

1- تقيّ الدين أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن تمّام بن حسّان التّلّي الصّالحي الحنبليّ، ولد سنة 635هـ، ونشأ في الصالحية بدمشق، وكان شاعرًا محدثًا وخلوقا. توفي سنة 718هـ. انظر البرزالي، المقتفي، ج2 ق2/ 313، الصفدي، أعيان العصر، 2/ 641، ابن كثير، البداية والنهاية، 14/ 90، ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، 1/ 426، ابن حجر، الدرر الكامنة، 2/ 241، ابن العماد، شذرات الذهب، 8/ 88.
2- انظر اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 283، البرزالي، المقتفي، ج2ق1/ 42، الذهبي، تاريخ الإسلام، 52/ 86، ابن كثير، البداية والنهاية، 15/ 622،
3- انظر البرزالي، المقتفي، ج2ق1/ 42.
4- انظر الذهبي، تاريخ الإسلام، 52/ 86، ابن كثير، البداية والنهاية، 15/ 622،
5- اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 273. وانظر البرزالي، المقتفي، ج2 ق1/ 42.
6- ابن كثير، البداية والنهاية، 15/ 622، وانظر البرزالي، المقتفي، ج2ق1/ 31.
7- البرزالي، المقتفي، ج2ق1/ 103 - 104.
8- الذهبي، تاريخ الإسلام، 52/ 86.

وتعرّضت المرأة المسلمة لأهوال الغزو المغولي سنة 803هـ، فقد هاجم إمبراطورهم تيمورلنك[1] الشام في هذه السنة، وانتصر على الجيش المملوكي، واحتل غير مدينة من مدنها، ولكنه لم يصل إلى فلسطين[2]، ومن هذه المدن حلب، التي عانى أهلها مجازر المغول وفظائعهم، فقتل كثير من النساء مع من قتل من أهلها، فحين اقتحموها هلك «تحت حوافر الخيل من الناس عدد لا يدخل تحت حصر، فإنّ أهل حلب خرجوا حتى النساء والصبيان، وازدحم الناس مع ذلك في دخولهم من أبواب المدينة، وداس بعضهم بعضًا حتى صارت الرمم طول قامة، والناس تمشي فوقها»[3]، وطيلة بقاء المغول في المدينة كان السبي مستمرًا في النساء، وكان تيمورلنك يفرّقهنّ على أمرائه وقادة جيشه[4]. وأسهب المؤرخون في وصف ما تعرضت له نساء الشام من انتهاكات، وبخاصة الاغتصاب، وهتك الأعراض، وكان هذا في مساجد حلب التي اجتمعت فيها النساء، فقتلوا أطفالهنّ، «وصارت الأبكار تُفتضّ من غير تستّر ولا احتشام بل يأخذ الواحد الواحدة، ويعلوها في المسجد بحضرة الجمّ الغفير من أصحابه من أهل البلد، فيراها أبوها وأخوها ولا يقدر على أن يدفع عنها لشغله بنفسه»[5]، ويضيف ابن تغري بردي أنهنّ كنّ يُعتدى عليهن أمام أولادهن وأزواجهنّ أيضًا، وأنّ المغول كانوا يتناوبون على اغتصاب الواحدة منهنّ فـ «ينزل عنها الواحد، فيقوم لها آخر وهي مكشوفة العورة»[6]. وهذا يدلّ على المعاناة النفسية، والإهانة والإذلال الذي نزل بأهل حلب، وعانوه إبان الغزو المغولي. ولقد كان لهذا الأمر صداه في بقية المدن الشامية، التي عانت ما عانت حلب وبخاصة دمشق[7]، فما إن وصل الخبر

1- من طائفة الجغتاي المغولية، كان مولده سنة 728هـ، تدرج في السلطة، فبدأ أميرًا لدى السلطان حسين صاحب بلخ، تزوج ابنته، ثم قتله، سيطر على بلاد ما وراء النهر وخراسان والهند، وامتد إلى بلاد الشام. توفي سنة 807هـ في أثناء غزوه الصين. انظر عنه كتاب ابن عربشاه، أحمد بن محمّد بن عبد الله، عجائب المقدور في أخبار تيمور، د. ط، المطبعة العثمانية، مصر، 1305هـ - 1888م، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 12/ 201.

2- انظر ابن الشحنة، محبّ الدين أبو الوليد محمد بن محمّد، روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، تحقيق: سيّد محمّد مهنّا، ط1، دار اكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ - 1997م، ص302.

3- المقريزي، السلوك، 6/ 41، وانظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 2/ 223.

4- انظر المقريزي، السلوك، 6/ 42، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 12/ 225.

5- المقريزي، تقيّ الدين أحمد بن عليّ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1418هـ - 1997م، 6/ 41 - 42، وانظر ابن حجر العسقلانيّ، شهاب الدّين أبو الفضل أحمد بن عليّ، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ط3، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1406هـ - 1986م، 2/ 135، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 12/ 224.

6- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 12/ 224.

7- انظر ابن الشحنة، روض المناظر، ص302.

إليها بأخذ المغول حلب حتى استغاث «الصبيان والنساء، فكان وقتًا شنيعًا»[1]، «وخرجت النساء حاسرات لا يعرفن أين يذهبن»[2]. وقد فرضوا على كلّ فرد من أهل دمشق، ومنهم النساء، عشرة دراهم ليعطوهم الأمان، ومن كان يعجز عن دفعها كان يُعاقب بعقوبات مختلفة، ومنها الاعتداء على نسائه وأطفاله، فكان الأمير المغولي المسؤول عن استخراج الفدية يأخذ نساء الدمشقي، «وبناته وأولاده الذكور، ويقسم جميعهم على أصحاب ذلك الأمير، فيشاهد الرجل المُعذّب امرأته وهي توطأ، وابنته وهي تُفتضّ بكارتها، وولده وهو يُلاط به، فيصير هو يصرخ ممّا ألمّ به من العذاب، وابنته وولده يصرخون من ألم إزالة البكارة، وإتيان الصبيّ، كلّ هذا نهارًا وليلًا من غير احتشام ولا تستّر، ثم إذا قضوا وطرهم من المرأة والبنت والصبيّ، طالبوهم بالمال، وأفاضوا عليهم أنواع العقوبات، وأفخاذهم مضرّجة بالدماء»[3]. وقد فصّلت المصادر التاريخية في الحديث عن العقوبات التي تعرّض لها هؤلاء، وذكرها مهم للدلالة على ما عاناه هؤلاء من همجية المغول، فبعضهم «يُعذب بأن يشدّ رأس من يُعاقبه بحبل ويلويه حتى يغوص في الرأس، وفيهم من يضع الحبل على كتفيّ المعذب، ويديره من تحت إبطيه، ويلويه بعصا حتى ينخلع الكتفان، وفيهم من يربط إبهام اليدين من وراء الظهر، ويُلقى المُعذّب على ظهره، ويذرّ في منخريه رمادًا سحيقًا، ثمّ يُعلَّق بإبهامِ يديه في سقف الدار، ويشعل النار تحته، وربما سقط في النار، فسحبوه منها حتى يفيق، فيُعذّب أو يموت فيترك، واستمر هذا البلاء مدة تسعة عشر يومًا»[4]، ويُروى أنهم سبوا جميع نساء دمشق، وجرّوهنّ بالحبال مع من أسروا من الرجال والصبيان، ورحل بهم تيمورلنك بعد احتلال دام ثمانين يومًا[5]. ولم تنج نساء حماة من بطش المغول وهمجيتهم في تلك السنة، فقد سبوا نساءها، فاغتصبوهن، وافتضّوا « الأبكار جهارًا من غير استتار»[6]. وهكذا يتبيّن من البحث التاريخي أن النساء في الشام سنة 803هـ قد زادت معاناتهن النفسية من الاغتصاب وهتك العرض والعقوبات المختلفة على نظيراتهن من نساء الشام وبغداد في سنوات الغزو السابقة، وأنّ هذه المعاناة كانت جهارًا وبالتناوب أمام رجالهنّ لإذلالهم، وكأن المغولي كان يقصد الانتقام، وإشفاء الغليل، وتخلّى بذلك عن

1- المقريزي، السلوك، 6/ 43.
2- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 12/ 227.
3- المقريزي، السلوك، 6/ 51، 53، ابن حجر، إنباء الغمر، 2/ 138، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 12/ 244 - 245.
4- المقريزي، السلوك، 6/ 51، 53، ابن حجر، إنباء الغمر، 2/ 138، ابن تغري بردي، 12النجوم الزاهرة، 12/ 244 - 245.
5- انظر المقريزي، السلوك، 6/ 54.
6- المقريزي، السلوك، 6/ 43، وانظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 12/ 225 - 226.

كلّ قيمة خلقية وإنسانية، وهذا كلّه وتيمورلنك كان يدعي أنّه شيعي مسلم، ويحب آل بيت رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، ويناقش العلماء فيهم، وفي حبهم[1]، وهذا النقاش جعل بعض الباحثين يرى أنّ تيمورلنك كان متعصبًا للشيعة، وناقمًا على الأمويين الذين استولوا على الخلافة، وقتلوا الحسين، وكان مقرهم الشام بعامة ودمشق بخاصة، فاتهم أهل دمشق بأنهم من أنصار يزيد في لقائه مع العلماء، فكان الدافع المذهبي وراء ما اقترفه وجيشه هناك[2].

ثانيًا: المرأة المسلمة إبان الغزو المغولي في الشعر العربي

يتناول هذا العنوان مبحثين:

أ- صدى سقوط المدن في الشعر العربي وحضور المرأة فيه.

كان لسقوط المدن الإسلامية في المشرق الإسلامي في العصر المملوكي صدى كبير في الشعر العربي، فقد رثاها عدد كبير من الشعراء بقصائد ومقطوعات مختلفة، أمّا بغداد حاضرة الخلافة الإسلامية، فقد كان لزوالها أثر كبير في العالم الإسلامي بعامة وفي الشعر العربي بخاصة، فهذا ابن الفوطي يقول: «ولقد قال الشعراء في واقعة بغداد أشعارًا كثيرة»[3]، أمّا الذهبي، فقال: «وقالت الشعراء قصائد في مراثي بغداد وأهلها»[4]، وكان من رثوها من مناطق مختلفة، مثل سعدي الشيرازي ت نحو 691هـ[5] وهو من إيران، فقد رثاها بالعربية والفارسية، وكانت قصيدته طويلة بلغت أربعة وتسعين بيتًا[6]، وخصّص لمأساة النساء فيها تسعة أبيات. ورثاها المحدث تقي الدين إسماعيل بن أبي اليسر الدمشقي ت672هـ[7]،

1- انظر ابن الشحنة، روض المناظر، 299 - 303.

2- انظر محمد أحمد محمّد، الغزو التيموري لبلاد الشام وآثاره، د. ط، دار الهداية للنشر والتوزيع، د. ت، ص23 - 24.

3- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص239 - 239.

4- الذهبي، تاريخ الإسلام، 48/ 37.

5- سعدي الشيرازي، شرف الدين بن مصلح بن عبد الله، ولد في إيران في مدينة شيراز، وتوفي فيها سنة 692هـ، كتب الشعر بالفارسية والعربية، وله ديوان شعر ومؤلفات عديدة. توفي سنة 691هـ. انظر براون، تاريخ الأدب العربي في إيران، ص668.

6- انظر سعدي الشيرازي، مصلح الدين مشرف بن عبد الله، الديوان، ترجمه إلى الفارسية: أحمد مهداوي دامغاني، طهران، 1339هـ - 2000م، ص 61 - 75، رائد عبد الرحيم، فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي، ط1، دار الرازي، عمّان، الأردن، 1424هـ - 2003م، ص200.

7- تقي الدين التنوخي، إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر، من مواليد دمشق سنة 589هـ، كان محدّثًا، وعالمًا ومدرسًا فيه، كتب الإنشاء للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز، وقال الشعر. توفي سنة 672هـ. انظر اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 3/ 38.

بقصيدة طويلة عدد أبياتها ستة وستون بيتًا، منها أربعة أبيات في ما جرى للمرأة في بغداد[1]، وكان الشاعر شمس الدين الكوفي الواعظ ت675ه[2]، أكثر شاعر رثاء لها، ولذا سمّي بشاعر مأساة بغداد أو شاعر النكبة، فقد قال في نكبتها خمس قصائد ومقطوعة واحدة[3]، وقد كانت قصائده بصورة عامةّ وقوفًا على أطلال بغداد، كعادة الشعراء الأقدمين، ومخاطبتها، ووصف ما جرى لها من دمار وخراب وهلاك لأهلها، وتشتيت لهم، ولم يخصص أحدًا فيها من سكّانها، بل ذكرهم بعمومهم، ومن هنا كانت المرأة حاضرة بصورة إشارية في أغلب أبيات قصائده، لكن الحديث عنها صراحة لم يكن إلا في أربعة أبيات منها. ومثله الشاعر علي بن مسعود بن ممدود السنجاري[4]، الذي أشار إلى مصير سكّان بغداد جميعهم دون تخصيص[5]، ورثاها أبو عبد الله محمّد بن الحسين بن أبي بكر الموصلي المعروف بابن الشروي[6] بقصيدة بلغ عدد أبياتها خمسة عشر بيتًا، لم يأت فيها على ذكر المرأة إلا في بيت واحد[7]. وتنوّعت الأشعار التي قيلت في رثائها «فبعضها جاء طويلًا أتاح للشاعر التفصيل والتعبير عن تلك المأساة، ومكّنه من بثّ آهاته ولوعاته، أمّا بعضها الآخر، فلم يتجاوز البيت والبيتين»[8].

1- انظر الذهبي، تاريخ الإسلام، 48/ 37 - 38.، ابن حبيب، بدر الدين الحسن بن عمر الحلبي، درة الأسلاك في دولة الأتراك، الجزء الأول، مركز الوثاق والمخطوطات بالجامعة الأردنيّة، ميكروفيلم رقم 539، و 5146، 1/ 25، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 7/ 48 - 49، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، د. ط، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، 1371هـ - 1952م، ص473، ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحيّ أحمد الحنبلي الدمشقيّ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، حقّقه وعلّق عليه: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1412هـ - 1992م، 7/ 469.

2- شمس الدين الكوفي الواعظ، محمد ين أحمد بن عبد الله الهاشميّ. مولده سنة 623هـ، كان عالمًا شاعرًا أديبًا واعظًا، درّس بالمدرسة التتشية، ووعظ بباب بدر، توفي سنة 675هـ. انظر الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عبّاس، د. ط، دار صادر، بيروت، لبنان، 1393هـ - 1394هـ/ 1973 - 1974م، 4/ 102.

3- ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 2/ 231 - 235، عيون التواريخ، 20/ 137 - 140، ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص334 - 335.

4- لم أعثر على ترجمته.

5- انظر الكتبي، محمّد بن شاكر، عيون التواريخ، الجزء العشرون، تحقيق: فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم داود، د. ط، دار الرشيد، بغداد، العراق، 1400ه - 1980م / 141 - 142.

6- كل ما عثر عليه اسمه وهو أبو عبد الله محمد بن الحسين، أبو بكر أحمد الموصلي المعروف بابن الشروي. انظر الكتبي، عيون التواريخ، 20/ 140.

7- الكتبي، عيون التواريخ، 20/ 140 - 141.

8- رائد عبد الرحيم، فن الرثاء، ص201.

وكان لسقوط حلب سنة 658هـ صدى في الشعر العربي، فهي المدينة التي نالت الحظ الوفير من تنكيل المغول وجرائمهم في الشام، ولكن المؤرخين لم يشيروا إلى حجم هذه الأشعار، إلا أن البحث والتنقيب أسفر عن العثور على بعض القصائد والمقطوعات التي قيلت فيها[1]. فقد رثاها الأديب المؤرخ كمال الدين بن العديم ت660هـ[2]، وكان قد ذهب رسولًا إلى مصر، ثم عاد إلى حلب بعد احتلالها ثمّ رجوعها إلى المسلمين، وكان ذلك سنة 660هـ، «فنظر إليها وما فعل التتر فيها وما قتلوا، ونظر إلى خرابها بعد العمارة، فأنشأ يقول هذه القصيدة في حلب وأهلها»[3]، وبلغ عدد أبياتها خمسة وسبعين بيتًا، ولكن جرى عليها من التصحيف والتحريف من محقق كتاب مفرّج الكروب ما أضر بالنص، وأخلّ بمعانيه، وأفرد فيها اثني عشر بيتًا في وصف مصاب المرأة الحلبية يومذاك. ورثاها آخرُ ملك أيوبي أسره المغول بعد أن دخلوا الشام ثم قتلوه سنة 659هـ بقصيدة بلغت نيفًا وستين بيتًا لم يصل منها إلا بضعة أبيات متفرقة في المصادر[4]، ورثاها بمقطوعات أخرى[5]، إلاّ أن أشعاره التي وصلت ليس فيها ذكر لما جرى على المرأة في الشام بعامة أو حلب بخاصة. وأتى بعض الشعراء على نكبة حلب والشام في القصائد التي رثوا فيها الملك الناصر، ومنهم الشاعر أمين الدين السليماني[6]، الذي رثاه بقصيدتين، وصف في ثلاثة أبيات من إحداها، وعدد أبياتها تسعة وعشرون بيتًا مصير المرأة المسلمة إبّان الغزو المغولي للشام في تلك السنة،

1- انظر المرجع نفسه، ص220.

2- كمال الدين بن العديم ابن عقيل الحلبي، مولده سنة 586هـ، كان محدّثًا وفقيهًا ومؤرخًا، له غير كتاب في تاريخ حلب، قال الشعر، ودرّس في غير مدرسة. توفي سنة 660هـ انظر العيني، بدر الدين محمود، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حقّقه ووضع حواشيه: محمّد أمين، د. ط، المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1407هـ - 1987م، 1/ 339، ابن العماد، شذرات الذهب، 7/ 525.

3- وردت القصيدة كاملة في ابن واصل، مفرج الكروب، ص343 - 347، وذكرت أجزاء منها في أبي الفداء، المختصر، 2/ 327، ابن الوردي، زين الدين عمر، تاريخ ابن الوردي المسمّى تتمة المختصر في أخبار البشر، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ - 1996م، 2/ 208، العيني، عقد الجمان، 1/ 340، الغزي، كامل بن محمّد بن مصطفى البابي الحلبي، نهر الذهب في تاريخ حلب، د. ط، المطبعة المارونيّة، حلب، سوريا، 1345هـ - 1928م، 3/ 164، الطباخ، محمّد راغب بن محمود بن هاشم الحلبي، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، نقّحه ووقف على طباعته: محمّد كمال، ط2، دار القلم العربي، حلب، سوريا، 1408هـ - 1988م، 2/ 254.

4- انظر الدواداري، أبو بكر عبد الله بن أيبك، كنز الدرر وجامع الغرر وهو الدرة الزكية في أخبار الدولة التركيّة، تحقيق: أولرخ هارمان، د. ط، مصادر تأريخ مصر الإسلاميّة يصدرها قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار، 1391هـ - 1971م، 8/ 58، رائد عبد الرحيم، فن الرثاء، ص220.

5- الدواداري، كنز الدرر، 8/ 58، رائد عبد الرحيم، فن الرثاء، ص222.

6- علي بن عثمان بن علي بن سليمان، أمين الدين السليماني الإربلي، كان من شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز، عمل جنديًا ثم تصوّف، توفي سنة 670هـ. انظر الكتبي، فوات الوفيات 3/ 39.

عقب مقتل مرثيّه الناصر[1].

أمّا سقوط الشام بعامة، ودمشق بخاصة سنة 699هـ، فكان له أثر كبير في الشعر العربي[2]، فقد أشار إلى ذلك الدّواداري، فقال: وعمل «الشعراء في هذه النازلة أشعارًا كثيرة»[3]. وعثر على ثلاث قصائد في هذه الحادثة، القصيدة الأولى للشيخ تقي الدين بن تمام الحنبلي ت718[4]، الذي أسره المغول في هذه الحادثة، وعملوا في رقبته حبلًا وجرّوه بها وأهانوه، فقالها وهو ممسوك عندهم[5]، وهي طويلة، عدد أبياتها سبعة وثمانون بيتًا[6]، خصص فيها عشرة أبيات للحديث عن مصاب المرأة المسلمة، وقد كانت بناته وبعض قريباته ممّن سبين يومذاك. والقصيدة الثانية لشمس الدين بن الجزري المؤرخ الأديب ت738هـ[7]، وعدد أبياتها ثلاثون بيتًا[8]، منها بيتان تحدث فيهما الشاعر عن مصير المرأة المسلمة، ورثاها الشاعر علاء الدين عليّ الأوتاري الدمشقي[9] بقصيدة عدد أبياتها تسعة وأربعون بيتًا[10]، أفرد فيها ستة أبيات للحديث عن نساء دمشق ومصابهنّ. وأكثر الشعراء

1- اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 2/ 147 - 148، الكتبي، فوات الوفيات، 4/ 367 - 368، عيون التواريخ، 20/ 262.

2- انظر رائد عبد الرحيم، فن الرثاء، ص226.

3- الدواداري، كنز الدرر، 9/ 30.

4- تقيّ الدين أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن تمّام بن حسّان التّلّي الصّالحي الحنبليّ، ولد سنة 635هـ أو 636هـ أو 637هـ، كان زاهدًا في الدنيا، متصوفًا، ذا أخلاق حميدة، سمع الحديث وحصل على إجازات علمية، وتلقّى علم النحو والأدب، وكان شاعرًا. توفي سنة 718هـ. انظر البرزالي، المقتفي، ج2 ق2/ 313، الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1420هـ - 2000م.7/ 35، أعيان العصر وأعوان النصر، حقّقه: علي أبو زيد، نبيل أبو عمشة، محمد موعد، محمود سالم محمد، قدّم له: مازن عبد القادر المبارك، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1418ه - 1998م، 2/ 641.

5- انظر الكتبي، عيون التواريخ، 19/ 146، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 282، العيني، عقد الجمان، 4/ 37، عبد الرحيم، رائد، صورة المغول، ص83، فن الرثاء، ص226.

6- انظرها بتمامها الكتبي، محمّد بن شاكر، عيون التواريخ، الجزء التاسع عشر، مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، رقم 4257 (صورة بالمكيروفيلم)، 19/ 146.

7- اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 316 - 317.

8- انظر اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 314 - 316.

9- علي بن إسماعيل بن العلاء الدمشقي القوّاس، علاء الدين الأوتاري، كان محدّثًا، وله نظم، عرف بتدينه وحسن خلقه. توفي سنة 736هـ. انظر الصفدي، أعيان العصر، 2/ 163، ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، حقّقه وقدّم له ووضع فهارسه: محمّد سيّد جاد الحق، د. ط، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مصر، 1386هـ - 1966م، 3/ 97.

10- انظر النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، د. ت، 5/ 225 - 228.

من نظم المقطوعات الشعرية في نكبة دمشق، وبلغ عددها عشرين مقطوعة[1]، ومنها مقطوعتان لشمس الدين ابن الجزري[2] وابن البيساني[3] صورّتا مصير المرأة في تلك السنة[4].

وكان لاحتلال الشام سنة 803هـ أثر في الشعر العربي، فقد قال الشعراء في هذه «الحادثة المدلهمة عدة قصائد»[5]، وصل منها قصيدتان، الأولى لشاعر مجهول، وعدد أبياتها اثنان وعشرون بيتًا[6]، فيها أربعة أبيات في وصف ما جرى للمرأة الشامية يومذاك. والقصيدة الثانية قالها الشاعر بهاء الدين الغَزولي ت815هـ[7] في وصف نكبة دمشق وربوعها وأشار لما جرى لحلب وحماة فيها، وعدد أبياتها خمسة وستون بيتًا، منها خمسة أبيات في المرأة ومصابها[8]. ورثاها بعض الشعراء الآخرين بمقطوعات شعرية، وجد منها خمس مقطوعات أغلبها لشعراء مجهولين[9].

وخلّد شعراء آخرون الصراع الإسلامي المغولي في قصائد أخرى، ووصفوا حوادثه بعامة أو حوادث أخرى خارجة عن السنوات الآنفة ذكرها، واستحضروا فيها صورة المرأة المسلمة ومصابها، فهذا الشاعر سراج الدين عبد اللطيف التكريتي[10]، مدح المصطفى،

1- الدواداري، كنز الدرر، 9/ 31، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 297، الكتبي، عيون التواريخ، ج19، ورقة 30، المقريزي، السلوك، ج1 ق3/ 894، العيني، عقد الجمان، 4/ 36، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 8/ 102.

2- شمس الدين محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر الجزري الدمشقيّ. ولد سنة 658هـ، كان شاعرًا ومحدثًا ومؤرخًا، له تاريخ ابن الجزري المعروف بحوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه. توفي 738هـ أو 739هـ. انظر الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ذيل تاريخ الإسلام، الجزء الثالث والخمسون من تاريخ الإسلام، اعتنى به: مازن بن سالم باوزير، ط1، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، د.ت، 1/ 453 - 454.

3- ذكر هكذا في المصادر التاريخية، ولا يفي ما ذكروا بالعثور على ترجمة محددة له، فكثر من عرفوا بهذا اللقب.

4- انظر الدواداري، كنز الدرر، 9/ 30، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 316.

5- الغزي، نهر الذهب، 3/ 215.

6- انظر ابن العجمي، كنوز الذهب، 2/ 107 - 108، الغزي، نهر الذهب، 3/ 215 - 216، الطباخ، أعلام النبلاء، 5/ 138 - 139.

7-

8- الغزولي، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي، مطالع البدور ومنازل السرور، ط1، مطبعة إدارة الوطن، القاهرة، مصر، 1300هـ - 1883م، 2/ 300 - 303.

9- انظر ابن الصيرفي، نور الدين علي بن داود الجوهريّ، نزهة النفوس والأبدان، تحقيق وتعليق: حسن حبشي، د. ط، دار الكتب، القاهرة، مصر، 1391هـ - 1971م، 4/ 94.

10- لم أعثر على ترجمته.

صلّى الله عليه وسلّم، بقصيدة طويلة وصل منها واحد وعشرون بيتًا، خصص فيها ثلاثة أبيات لوصف مصير المرأة المسلمة إبان هذا الصراع[1]. أمّا القاضي جمال الدين أبو بكر قاضي عجلون[2]، فخلّد انتصار المماليك في معركة مرج الصفّر سنة 702هـ، في قصيدة طويلة، عدد أبياتها مئة وخمسة عشر بيتًا، أتى في ستة أبيات منها على ما فعل الأرمن بنساء دمشق حين احتلها المغول سنة 699هـ، وحرّض عليهم، وعلى غزو ديارهم والثأر منهم[3]. وعقب وفاة السلطان المغولي تيمورلنك سنة 807هـ قال فيه الشاعر ابن عربشاه[4] قصيدة طويلة، بلغت مئة وواحدًا وعشرين بيتًا، خصّص أربعة أبيات منها لوصف ما فعل هذا السلطان وجيوشه بنساء المسلمين[5].

وهكذا يتضح أنّ الشعراء اهتموا بالمرأة المسلمة، فواكبوا بذلك الواقع التاريخي في وصف ما فعل المغول بها، وما اقترفوا في حقّها، وغالبًا ما يأتي الحديث عنها استثارة للمشاعر، وضربًا على وتر الشرف والكرامة، لعلّ ذلك يحرّك همم المسلمين وقادتهم كي يهبوا للدفاع عنها، ولإنقاذها من براثن الغزاة المغول.

ب- صورة المرأة المسلمة في الشعر العربي

لقد حضرت صورة المرأة بجلاء في الشعر الذي خلّد أفعال المغول في المدن المحتلة وغيرها، ولم يخرج الشعراء في وصفهم العام عمّا جاءت به المصادر التاريخية من حديث عن سبي وقتل وانتهاك عرض وتشتيت وخوف، ولكنهم توسّعوا في تصوير المشاهد، وأضافوا إليها لمسات فنيّة من خيالهم، وعجنوها بلغتهم وأساليبهم المؤثرة في المتلقين، رغبة في كسب تعاطفهم، وحثّهم على التحرّك لإنقاذها، والذبّ عنها. ومنهم شعراء بغداد الذين أشاروا إلى كثرة ما نزل بالمرأة المسلمة العفيفة في بغداد من سبي وهتك للعرض،

1- انظر النويري، الإلمام، 2/ 226 - 227.

2- عبد القاهر بن محمد جمال الدين أبو محمد وأبو بكر التبريزي الأصل، الحراني الدمشقي المنشأ، كان أديبًا، كاتبًا الإنشاء، قارئًا القرآن ومتفقهًا، توفي سنة 740 في دمياط في مصر. انظر ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوفي، الجزء السابع، حقّقه ووضع حواشيه: محمّد أمين، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1414هـ - 1993م، 7/ 327.

3- انظر الدواداري، كنز الدرر، 9/ 93 - 100.

4- شهاب الدين أحمد بن إبراهيم الدمشقي المعروف بابن عربشاه. مولده في دمشق سنة 792هـ، برع في الفقه واللغة العربية والتاريخ والأدب والبيان، وقال الشعر، توفي سنة 854هـ في القاهرة. انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 15/ 272.

5- انظر ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص166 - 170.

كما يبدو في قول شمس الدين الكوفي الواعظ مقارنًا بين حال المغول والمسلمين بعد سقوط بغداد[1]:

والـشّـركُ مُنجبرٌ والمُـلْكُ مُنكسرٌ والـحـقُّ مستترٌ والـسـتـرُ مُنهتـكُ

ويصوّر في مقطوعة أخرى استباحة النساء في بغداد، إذ عبّر عمّا فعله المغول في قبور الخلفاء العباسيين في منطقة الرّصافة هناك، من نبش لقبورهم وإخراج لعظامهم، فكتب على بعض الحيطان[2]:

إنْ تُرِدْ عبـــــرةً فتلكَ بنـــــو العَـ ـبّاسِ حلّتْ عليـهـــــــمُ الآفـــاتُ

استبيـــــحَ الحريــمُ إذْ قُتِلَ الأحْـــ ـــــياءُ منهـــمْ وأُحْـــرِقَ الأمـواتُ

وكان الشاعر سعدي الشيرازي أكثر من فصّل في تصوير المأساة التي حلّت بنساء بغداد، فقدّم لوحة فنيّة متضامّة تعبّر عن نكبتهنّ، ويتضح منها أنّه خصّ الارستقراطيّات منهنّ أو نساء القصور، وقد سبق الحديث عن أنّ المغول أخرجوهنّ من دور الخلافة، وسبوهنّ وقد كنّى عنهن بنات البرامك في إشارة إلى ذلك، وإلى تلك العائلة الغنية ذات المنزلة الرفيعة في التاريخ العباسي، فصوّرهنّ عذارى وكواعب فتيّات، وجميلات مثل الكواكب، أضأن الليل إذ سرى فيهن المغول، وعفيفات لم يبرزن لأحد، ولم يعتد أحد على رؤيتهن، ومدلّلات، ناعمات، اعتدنّ حياة الرفاهية، وحياة القصور، ولكنّ المغول، أو عترة قنطوراء، على حدّ تعبيره، وهم جنس من الترك[3]، ذكر هذا الاسم الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، في حديث تنبّأ به بظهور هؤلاء، وإخراجهم أهل العراق من بلدهم، فقال: «يوشكُ بنو قنطوراء أن يُخرجوا أهل العراقِ من عراقهم»[4]، قد انتهك هؤلاء عرضهنّ، واغتصبوهنّ، وأخرجوهن سافرات، وحفايا، يقطعون بهنّ الصحاري، ذليلات كأنهنّ معز يسوقهن رعاتها، يقمن ويقعدن في الجبال والأودية لنعومتهن وترفهنّ، وعدم اعتيادهنّ على الإهانة، فكان حالهنّ معهم كحال العصفور بين مخالب الصقور، في إشارة إلى حالة الضعف التي وصل

1- الكتبي، عيون التواريخ، 20/ 137.

2- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص335.

3- انظر ابن منظور، محمّد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، ط3، نسّقه وعلّق عليه ووضع فهارسه: مكتب تحقيق التراث، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربيّ، بيروت، لبنان، 1413هـ - 1993م، مادة «قنط»، رائد عبد الرحيم، صورة المغول في الشعر العربي في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمّان، الأردنّ، 1418هـ - 1997م، ص46.

4- ابن الأثير، النهاية، 4/ 113، رائد عبد الرحيم، صورة المغول في الشعر العربي، ص180.

إليها أهل بغداد يوم ذاك، إذ لم يستطيعوا الاستجابة لصرخات المستغيثين، وكان المغول يطوفون بهنّ الأسواق لبيعهنّ، واستوحى الشاعر مشهد يوم القيامة ليقرن صباح سبيهن به[1]، مستحضرًا الحديث الذي روته عائشة عن الرسول، صلّى الله عليه وسلّم: «يُحشرُ الناسُ حفاة عراةً غُرُلا»[2]، ولهذا كلّه تمنّى الشيرازي لو أنّه فَقَدَ سمعه قبل أن يتناهى إليه ما جرى للمرأة في العراق، وهذا يبيّن أنّ الشاعر لم يشهد الواقعة، بل مزج ما سمع بخياله، وأخرج هذه اللوحة الفنية التي يقول فيها[3]:

فليتَ صِماخي صُمَّ قبلَ استماعِهِ ... بهتكِ مساتيرِ المحارمِ في الأسرِ

عَدَوْنَ حفايا سبسبًا بعدَ سبسبٍ ... رخائمُ لا يَسْطِعِنَ مشيًا على الحُبرِ

لعَمْرُكَ لوْ عايَنْتَ ليلةَ نَفْرِهِمْ ... كأنّ العَذارى في الدُّجى شُهُبٌ تَسري

وإنّ صباحَ الأسرِ يومُ قيامَةٍ ... على أُممٍ شُعْثٍ تُساقُ إلى الحشْرِ

ومستَصرِخٍ يا لَلمروءةِ فانُصُروا ... ومَنْ يُصرخُ العصفورَ بين يَدَي صَقرِ

يُساقونَ سوقَ المعزِ في كبِدِ الفلا ... عزائزَ قَوْمٍ لمْ يُعوّدْنَ بالزّجرِ

جُلبنَ سَبايا سافِراتٍ وجُوهُها ... كواعبَ لمْ يَبْرُزْنَ منْ خَلَلِ الخِدْرِ

وعترةُ قنطوراءَ في كلِّ منزلٍ ... تصيحُ بأولادِ البرامكِ مَنْ يَشري

تقومُ وَتَجْثو في المحاجرِ واللّوَى ... وهل يَخْتَفي مشيُ النواعِمِ في الوَعْرِ

وركز الشاعر تقي الدين بن أبي اليسر على ما جرى للمرأة البغدادية، ونهج نَهْجَ سعدي الشيرازي في الحديث عن ارستقراطيات الدولة العباسية، إذ صوّر باب البدرية[4]، وهو أحد أبواب الخلافة، وقد أضحى خربًا عاطلًا من النساء الجميلات كالبدور اللواتي اعتدن الوقوف فيه، واستخدم (كم) الخبرية للتعبير عن كثرة من سبي منهن وانتهك عرضهن، ووقف

1- انظر مأمون فريز جرار، أصداء الغزو المغولي في الشعر العربيّ من القرن السابع إلى القرن التاسع، ط1، مكتبة الأقصى، عمّان، الأردنّ، 1403هـ - 1983م، ص156.

2- البخاري، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن بردزبة الجعبيّ، صحيح البخاري، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1412هـ - 1992م، 8/ 110، مسلم، يوسف بن حجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط2، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1398هـ - 1978م. 4/ 2194، حديث رقم 2859.

3- سعدي الشيرازي، الديوان، ص67.

4- يقع في الجانب الشرقي من بغداد. انظر ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص2، حاشية رقم 1.

على حالتهنّ المزرية والمغول يجرونهنّ، ويجبرونهنّ على المكروه، وجعل مصيرهن هذا شبيهًا بالموت لهنّ، فراح يصرخ بأعلى صوته داعيًا الله كي يعجل لهنّ به[1] حتى لا يرى هذا المشهد أو يسمع به، لما فيه من عار على كلّ مسلم، يقول[2]:

وكم بدورٍ على البدريّةِ انْخَسَفَتْ ولم يَعُدْ لبدورِ الحيِّ إبدارُ

ناديتُ والسبيُ مهتوكٌ تجرُّهمُ إلى السِّفاحَ من الأعداءِ دعّارُ

وهم يُساقون إلى الموتِ الذي شَهدوا النار يا ربّ من هذا ولا العارُ

ويقدم الشاعر شمس الدين الكوفي الواعظ معلومات جديدة عن مصير المرأة المسلمة في بغداد لم تصرّح بها المصادر التاريخية، إذ توجّه إلى الله أن يحمي سبايا المسلمين، وأن ينقذهن من العدو وبخاصة النصارى، وألا يصبحن سبايا لهم ولقساوستهم، ويدخلن في دينهم كما يبدو في قوله[3]:

ربّنا ارجعْ أحبابَنا عن قريبٍ لا تَدَعْهمْ إماءَ كلِّ خسيسِ

واحمِهمْ من جميعِ كفرِ النّصارى لا تَدَعْهُمْ يصغوا إلى قسّيسِ

لم تذكر المصادر التاريخية أنّ النصارى في بغداد سبوا المسلمات، ولكنّها تحدّثت عن تحالف بعضهم مع المغول، وأنّ هولاكو وقادته كرّموهم احترامًا لزوجته دوقوز خاتون النصرانية، وذكروا أن بعضهم شارك في احتلال بغداد[4]، وحماهم المغول بعد سقوطها، ولم يقتلوا أحدًا منهم، وعيّنوا لهم من يحرسهم[5]، وملّكوهم بعض دور الخلافة وقصور

1- انظر مأمون جرار، صدى الغزو المغولي، ص142.

2- الذهبي، تاريخ الإسلام، 48/ 39، ابن حبيب، درة الأسلاك، 1/ 25، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 7/ 49، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص473، ابن العماد، شذرات الذهب، 7/ 470.

3- النويري، محمّد بن قاسم بن محمّد، كتاب الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية، تحقيق: عزّت سوريال عطيّة، د. ط، دائرة المعارف العثمانيّة، حيد أباد الدّكن، الهند، 1390هـ - 1970، 12/ 344.

4- انظر سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1396ه - 1976م، 2/ 1067، فايد عاشور، العلاقات السياسية بين الأتراك والمماليك والمغول في الدولة التركية الأولى، د. ط، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1397ه - 1977م، ص40، رائد عبد الرحيم، صورة المغول، ص104.

5- انظر ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص329، الكتبي، عيون التواريخ، 20/ 135، رائد عبد الرحيم، صورة المغول، ص105.

أربابها[1]، وقد اعتدى هؤلاء على المسلمين، وتطاولوا عليهم، فأجبروهم على الإفطار في رمضان، وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير[2].

ويقرن الشاعر أبو عبد الله محمد بن الحسين الشروي بين ماضي بغداد قبل الغزو وحاضرها عقبه، فيصوّرها وقد خلت من نسائها الحور الجميلات قتلًا وسبيًا وقد كانت عامرة بهنّ، فقال[3]:

عَـهـدي بربْـعِـكِ للـعلـومِ مـواطِـنٌ إذْ أنــتِ لـلـحـورِ الـحـسـانِ مـقـامُ

وواكب الشعراء ما جرى للمرأة المسلمة في الشام سنة 658هـ، ولم يخرجوا كثيرًا عن المعاني التي عبّر عنها شعراء بغداد ولكن كان لهم طريقة في التعبير عنها، فهذا الشاعر سراج الدين عبد اللطيف التكريتي، يصف كثرة من وقع سبايا منهن، ويعبّر عن جمالهن وعفتهن، فهنّ مستورات لم يخرجن من خدورهنّ، أخرجهن العدو منها باكيات، يسترن وجوههن بأيديهنّ عفةً وحياء، يقول[4]:

فالمالُ نهبٌ والحريــمُ تحكّمَـتْ فيـهِ الأعـادي والدّيــارُ خَـــــرابُ

كـم ذات خـدرٍ أُبْـرزت مـن خـدرِهـا ودمـوعُـهـا فـوقَ الخُـــدودِ سكـابُ

مـن كـلِّ واضحــةِ الجبينِ تَخالُها سَـتَـرَتْ محـاسِـنَ وجْـهِـها الأبـوابُ

ويرسم الشاعر كمال الدين بن العديم مشهدًا قريبًا من يوم القيامة لسبي النساء، وهتكهن في حلب في تلك السنة، إذ صوّر العقاب والسبي قد أصاب جميع نساء هذه المدينة، فخلتْ منهن ربوع المدينة فأضحت خرابًا يبابًا، ولطالما كانت عامرة بهنّ وبأهلها جميعهم، ورسم صورة لجمالهنّ وعفّتهن، فهنّ كالغزلان، يُخجل البدرَ والشمسَ حسنُهنّ، ولكنّ المغول وأحلافهم من الأرمن لم يرحموهنّ، فأهانوهنّ، وقيدوهنّ، وجرّوهن من شعورهن، حتى تقطّعت بأيديهم من عنفهم وهمجيتهم، وأشبعوهنّ ضربًا، فامتلأت وجوههنّ دماء، في إشارة منه إلى دفاعهنّ عن أنفسهنّ، ومواجهتهن العدو، وهو يجرّهنّ إلى

1- انظر ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، 233 - 234، السبكي، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى، الجزء الثامن، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، محمّد الطناجي، د. ط، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، 1384هـ - 1964م، 8/ 272.

2- انظر السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 271، رائد عبد الرحيم، صورة المغول، ص105.

3- الكتبي، عيون التواريخ، 20/ 141.

4- النويري، الإلمام، 2/ 227.

السفاح، وكنّ يواجهنَ جرائمهم بالصراخ والعويل والاستغاثة، ولكنّ المغول لم يستمعوا لندائهنّ، ويتقاطع الشاعر مع ما ذكرته المصادر التاريخية من أنّ المغول أخذوهنّ إلى جزر السواحل، وباعوهنّ في أسواقها، وأن الأرمن اشتروا أسرى وسبايا حلب من المغول[1]، يقول[2]:

وسيقَ بربّاتِ الحجـالِ فلـو تـرى ... شتاتًا ملـوك الأرضِ كيـفَ تُقسّـمُ

وقدْ جُزّزَتْ تلك الشعورُ وضمّخَـتْ ... وجـوهٌ بأمْـواهِ الدّمـا وهـي تُلطـمُ

وجوهٌ لها تُعنى البدورُ وتَخجلُ الشْـ ... شمـوسُ وعنهـنّ الأهلّـة أنجـمُ

وكُـلُّ مهـاةٍ قـد أُهينَـتْ سبيّـةً ... وقد طـالَ ما كانت تُعـزُّ وتُكـرَم

تنادي إلى مَنْ لا يُجيـبُ نـداءها ... وتشكو إلى منْ لا يَـرقُّ ويرْحَـمُ

حوتْهُمْ جيوشُ الكفرِ والأرمـنِ الألى ... طَغوا بَعْدَ ذلٍّ كانَ يُشهـرُ عنْهُـمُ

وقيّدوا إلى أرضِ السّـواحلِ بَعْدمـا ... أذلّـوا لـذاكَ العـزِّ منهـنّ مغـرّمُ

فمـا غَـادروا إلا اليسيـرَ وقد أَتى ... الحسابُ على الباقينَ بالحرفِ يُقسمُ

ولم تقلّ نكبة نساء الشام سنة 699هـ عن غيرها من مصائب حلّت بهنّ على أيدي المغول، فقد ذاقت جموعهنّ من الكأس ذاتها، ويمتاز الشعر الذي عبر عنهن بالواقعية، إذ قاله شعراء اكتووا بنيران المغول هذه السنة، وتعرضت نساء بعضهم للسبي والإهانة وهتك الأعراض، ولهذا تحدّثوا بلوعة وألم عن تجربتهم، ومنهم الشاعر تقي الدين بن تمام الحنبلي الذي سبى المغول بناته وبعض قريباته، وأهانوه، وأسروه، ووضعوا الحبل في رقبته وجرّوه ثم تركوه، يصوّر ما فعله غازان وجيشه بنساء دمشق في تلك السنة، وعبّر بأسلوبه الخاص عن معاني سابقيه، فوصف النساء المسلمات دمى في جمالهن وفتنتهن، عفيفات لم ترهن الشمس، ولم تنظرهن عين، مترفات ناعمات، بل أسقط عليهنّ وصف نساء أهل الجنة حياء وخفرًا، متناصًّا مع قوله تعالى: «حورٌ مقصورات في الخيام»[3]، لكن المغول الكفرة الفجرة الدعّار المجرمين، على حدّ تعبيره، لم يرأفوا بحالهنّ، فاعتدوا عليهنّ، وانتهكوا

1- انظر العيني، عقد الجمان، 1/ 231.

2- ابن واصل، مفرج الكروب، ص345، أبو الفداء، المختصر، 2/ 208، ابن الوردي، تتمة المختصر، 2/ 208، العيني، عقد الجمان، !/ 341، الغزي، نهر الذهب، 3/ 165، الطباخ، إعلام النبلاء، 2/ 245.

3- سورة الرحمن، آية 72.

عرضهنّ، وتناوبوا عليهن في ذلك، وأمعنوا في ظلمهنّ وإهانتهنّ، حتى لطمن الخدود، وعفّرن الوجوه بالتراب في إشارة منه إلى تمنّعهنّ، وعدم قبولهنّ بأفعالهم، يقول مشيرًا إلى غازان، ومكررًا كم الخبرية للدلالة على حجم المصاب[1]:

تملّكَهـا مَلْكٌ منَ التُّـرْكِ كـافـرٌ فكمْ مسلمٍ فيها إلى السّيـفِ يُسلَمُ

وحكّـمَ فيها المُغْلَ بالحُـورِ آثمً فكـمْ جـارَ فيهـا بالرَّديَّـةِ مُجـرمُ

وكمْ هَتَكـوا منْ دُميـةٍ بدمـائِها وكمْ تركـوا من حيٍّ حَـوراءَ تَلْطُمُ

مُحجّبةٌ ما لاحتِ الشّمسُ وجْهها ولا نَظَرَتْهـا العينُ أو نالهـا الفَـمُ

معفّـرةٌ بالتُّربِ في كـفِّ كافِرٍ ولا مانِـعَ مِنْ ظُلْمِهـا وهْيَ تُظلـمُ

ومقصـورةٍ طـيَّ الخِيـامِ رأيتُهـا يُقَصِّرُ عنْها الطَّرْفُ صونًا ويحجمُ

تَبَذّلَهـا مِنْهُـمْ دنيٌّ وفاجـرٌ وطـالَ إلى أوطانِهـا وهي تَنْعَـمُ

ويكرّر الشاعر علاء الدين الأوتاري الدمشقي معاني من سبقوه من الشعراء، ويضيف صورًا جديدة إليها، فتحدّث عن النساء الجميلات العفيفات المستورات، اللاتي لم ترهن الشمس، والمترفات ساكنات القصور، اللواتي سباهن المغول، وطافوا بهنّ الأسواق، لبيعهنّ برغيف من الخبز، ولا مشتر لهنّ لكثرتهن، وكساد سوقهن، وصوّرهن يصرخن ويستغثن ولا مجيب لندائهن، فقد انقلبت حياتهنّ، فاستبدلت حياة الترف بشظف العيش وبشرار الناس، ويبدو الشاعر متناغمًا مع الواقع التاريخي إذ أكثر من الحديث عن سبي الأطفال والشبان يومذاك، فقال[2]:

وبنـاتٍ مُحجّبـاتٍ عـن الشّمْـ ـسِ تنـاءتْ بهنَّ أيـدي الأعـادي

منهمُ الطّفلُ والصبيّةُ والشّـا بُ يُنـادي فمَـنْ يُجيبُ المُنـادي

ويُنـادَى عليهـمُ برغيـفٍ وبِنَـزْرٍ بَخْـسٍ بسـوقِ الكَسـادِ

عـوِّضـوا عـن سـرورِهـمْ بِـغُـرورٍ وقصـورِ البِـلادِ سُكنى البَـوادي

1- الكتبي، عيون التواريخ، 19/ 151.

2- النويري، نهاية الأرب، 5/ 227، 228 - 229.

وبأهـــلِ الـــودادِ شرَّ أنَـــاسٍ وبلينِ المِهـادِ شـــوْكَ القَتـــادِ

ويصرّح ابن البيساني بما اقترفته أيدي المغول من فظائع في دمشق، ومنها سبي النساء إذ قال[1]:

ولازمَ قـومًـا في دِمـشـقَ بسبيهِ ونـهـبٍ وقَـتْـلٍ ثـمّ أمـوالـهـمْ جَنَـى

وعبّر شمس الدين ابن الجزري عمّا نزل بنساء دمشق من سبي، ويتقاطع من النص التاريخي الذي ركّز على نساء جبل الصالحية وأطفالهنّ أكثر من غيرهنّ، حتى تناءت بهنّ الديار، وصرن في ديار الغربة، بعيدات عن الأهل والوطن، يقول[2]:

والـصـالـحـيّـةُ وافـاهـا وحـلّ بها فـرطُ الشّـتـاتِ الـذي نـادى مناديهِ

سـبـيُ الـحـريـمِ وأطـفـالٌ مـفـرّقـةٌ كلٌّ تَـــراهُ بعيـــدًا عـــن أهاليـــهِ

ويتجاوز ابن الجزري حدود دمشق ليجعل هذه النكبة قد شملت بلاد الشام جميعها، إذ سبيت نساؤها، وهتكت أعراضهن، ونزحت بهنّ أيدي العدو إلى بلاد بعيدة كما يبدو في قوله[3]:

لـقـدْ رُمِـيَ الـشـامُ الـمُـفـدّى بنكبةٍ فـمـا أحـــدٌ مـن سـاكـنـيـهِ بـنـاجـي

بقتـل وأسـرٍ واسـتـبـاحِ محـــارمٍ وتـــغـريـــبِ أهـلـيـهِ وذلِّ هِـجـاجِ

وكان الأرمن من أكثر أحلاف المغول الذين تعاونوا معهم على احتلال بلاد المسلمين، فشاركوهم معارك متعددة، ومنها دخول الشام سنة 658هـ، على ما مرّ آنفًا، وسنة 699هـ[4]، ولم تذكر المصادر التاريخية أنّهم سبوا نساء المسلمين في هذه السنة في دمشق أو الشام، إلا أن القاضي جمال الدين أبا بكر قاضي عجلون يؤكّد أنّهم فعلوا ذلك في قصيدته التي خلّد فيها انتصار المماليك على المغول في موقعة مرج الصفّر سنة 72هـ، إذ بيّن انّهم فعلوا في جبل الصالحية ما لم يفعله المغول، فقد قتلوا أهله، واعتدوا على النساء الجميلات العفيفات الناعمات المدلّلات، اللواتي لم ترهنّ الشمس، وتضرب دونهنّ الأستار، وانتهكوا عرضهنَ، وأجهضوهنّ من الخوف والرعب، وقتلوا أطفالهنّ، وتركوهنّ ملوّعات ثكالى حتى

1- اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 280.
2- المصدر نفسه، 1/ 316.
3- اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 316.
4- انظر تفصيل ذلك رائد عبد الرحيم، صورة المغول ص106 - 112.

غدا الحيّ أو جبل الصالحية خلْوًا من ساكنيه، ويلجأ الشاعر إلى التصوير للتعبير عن معانيه، وإلى تكرار كم الخبرية، للتعبير عن كثرة ما اقترفته أيديهم، ولهذا حثّ على الانتقام منهم واستئصالهم، وعلى الأخذ بثأر المسلمين رجالًا ونساء وأطفالًا[1]، يقول[2]:

أما رأَيْتُـمْ وعايَنْتُـمْ وقد فَعلوا ... في الصالحيّـةِ مـا لا تفعـلِ التّتَرُ

اشفوا صـــدورَكمُ إنْ كُنْتُـمُ غُيُـرًا ... علـى نسائكـمْ يا قــومُ وادّكروا

كمْ من عجوزٍ ومن شيخٍ ومكتهلٍ ... ومنْ فتاةٍ نمــاهــا الحُســنُ والخَفَرُ

بيضاءَ خرعــوبةٍ بكـرٍ محجّبـةٍ ... لا الشّمسُ تَنْظُرُها صَــونًا ولا القمرُ

وذاتِ بَعْـلٍ مخبّـــاةٍ مخـــدَّرةٍ ... من دونِها تُضربُ الأستارُ قد أسروا

ومُطفلٍ أثكلــوا وَجْـدًا بواحِـــدِه ... وحاملٍ أخْمَصَتْ خوفًا وقد ذُكـــروا

ومَرْبَـعٍ أقفــرَ منْ بَعــدِ ساكِنِهِ ... وعِقْـدِ شَمـلٍ نَظيــمٍ جامِـعٍ نَثَـروا

وكم أراقـوا وكم ساقوا وكم هَتَكـوا ... وكَـمْ تَمَـلّوا بما نالــوا وكـم فَجَروا

وشايع الشعراء الذين واكبوا احتلال تيمورلنك الشام سنة 803هـ غيرهم من الشعراء، فوصفوا ما جرى للمرأة الشامية المسلمة يومئذ، وأضافوا بعض المشاهد الجديدة التي تصوّر المغول وهم يتناوبون على هتك عرض النساء أمام أهلهن وأقربائهنّ، وهذا ما يتجلّى في قول شاعر مجهول متحدثًا عن نكبة حلب، وعن حال النساء الجميلات العفيفات فيها، داعيًا على المغول بأن تشل أيديهم التي امتدتْ إليهنّ[3]:

لكنْ مُصيبَتُكِ الكُبرى التي عَظُمَتْ ... سبيُ الحريمِ ذواتِ السّتْرِ والحُجُبِ

من كلِّ آنسـةٍ لا شمْـسَ تَنْظُـرُه ... ولا يَـراها سِـــوى أمٍّ لهـــا وأبِ

يأتي إليهـا عـدوُّ الدِّينِ يَفْضَحُهـا ... ويَجْـتليهــا عَـــن لاهٍ مُرْتَقِـــبِ[4]

1- انظر المرجع نفسه، ص111.
2- الدواداري، كنز الدرر، 9/ 96 - 97.
3- ابن العجمي، كنوز الذهب، 2/ 107، الغزي، نهر الذهب، 3/ 215، الطباخ، إعلام النبلاء، 5/ 138.
4- مكسور من الأصل.

غُلّـتْ يمينُكَ يا مَنْ مَـدَّها لَمْسـًا ذات الجمالِ وشُلّتْ منكَ بالعَطَبِ

وصوّر مأساتهنّ الشاعر بهاء الدين الغزولي، وتناغمت معانيه مع ما ذكره المؤرخون إذ تحدّث عن المغول الذين دخلوا الجامع الأموي بدمشق، حيث سكروا فيه، واغتصبوا النساء، ويصوّرهن غزلانًا كالبدور حسنًا وجمالًا، ولكن العدو، الذين وصفهم كالكلاب خسّة ودناءة، أذلّوا هذا الجمال، وأرغموهنّ على السفاح، ونكّلوا بهنّ، وجرّوهنّ من شعورهنّ، ولذا يقف الشاعر متوجعًا على مصيرهنّ، باكيًا متحسرًا[1]، فقال مخاطبًا بني أميّة وبخاصة الوليد بن عبد الملك باني الجامع الأموي[2]:

أبني أميّـةَ أيـنَ عينُ وليدِكُمْ والمُغلُ تفتلُ في ذرى الأركانِ

شربوا الخمورَ بصحنِهِ حتى انتشَوا ألقوا عَرابِدَهُـم على النُّسوانِ

غابتْ بدورُ الحُسـنِ عن هالاتِها فاسْتُبْدِلَـتْ من عِزِّها بهـوانِ

رَتَعَتْ كلابُ المُغلِ في غِزلانِهـ وتَحَكّمَتْ في الحورِ والوِلـدانِ

لهفي على تلكَ الشُّعـورِ وطولِها جُـرّتْ بها الأعنـاقُ كالأرْسـانِ

وتتجلّى بعض المعاني السابقة في شعر ابن عربشاه إذ صوّر ما فعله تيمورلنك بنساء الشام، فقال[3]:

وأحـلَّ سـبـيَ المُحـصـنـا تِ المؤمنـاتِ مـن الـخُـدورِ

وأضـافَ في هـذا إلى فـعـلِ الـزّنـا شـربَ الخمـورِ

فـتـكـوا وقـد بـتـكـوا القـلـو بَ وبـعـدمـا هـتـكـوا السّتـورَ

1- انظر مأمون جرار، صدى الغزو المغولي، ص175

2- الغزولي، مطالع البدور، 2/ 301 - 302.

3- ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص167.

خاتمة

بعد هذه الجولة في صورة المرأة المسلمة في المصادر التاريخية والنصوص الشعرية إبان الغزو المغولي خلال العصر المملوكيّ، يمكن تسجيل النتائج الآتية:

- تناولت المصادر التاريخية بجلاء صورة المرأة المسلمة في البلدان التي احتلها المغول في العراق وبلاد الشام بعامة، وفي بغداد ودمشق وحلب وحماة وغيرها بخاصة، وكان مدار حديثهم عمّا تعرضت له من سبي وانتهاك عرض، وقتل، وتخويف وإذلال.

- ذكرت المصادر التاريخية أن عدد من سبي من المسلمات كان كبيرًا، وحدّدت بعض الأعداد في مدن بعينها، ونوعية النساء اللواتي وقع عليهن الأسر، فذكروا أنّهم سبوا في بغداد ألفاً وسبعمئة امرأة من نساء الخليفة وحظاياه، ومئة ألف نفس من الصبيان والنساء في حلب سنة 658هـ، وكان كثير منهن نساء الملوك والأغنياء، واكتفوا بالإشارة إلى أنهم سبوا جميع نساء جبل الصالحية في دمشق سنة 699هـ، ونساء دمشق سنة 803هـ.

- حدّد المؤرخون الأماكن التي أخذت إليها النساء، فبعضهنّ أخذ إلى بلاد المغول، وأخريات باعوهنّ في أسواق دمشق وحلب، وبعضهن في أسواق الجزائر الفرنجية. وأشاروا إلى أنّ بعض النساء اشتراهنّ المسلمون، وأعادوهنّ إلى أهاليهن وبخاصة سنة 658هـ.

- حدّد بعض المؤرخين أسماء من قتل من النساء أو سبي كما فعلوا في حديثهم عمّن قتل من نساء بغداد والشام سنة 699هـ، وعمّن سبي من نساء الخليفة سنة 656هـ، ولكنّ ذلك جاء نادرًا في مصادرهم.

- اختلف حديث المؤرخين عن النساء اللواتي تعرضن للاغتصاب وانتهاك الأعراض، فلم يذكروا أنّ نساء العراق والشام سنة 658هـ تعرّضن لذلك، في حين فصّلوا في الحديث عمّا جرى لنساء جبل الصالحية في دمشق من انتهاك للأعراض سنة 699هـ، وعن نساء حلب ودمشق وحماة سنة 803هـ، إذ كانت النساء يُغتصبن أمام عيون آبائهنّ وإخوتهنّ وأزواجهنّ.

- ولم يهمل المغول ما جرى لنساء البصرة سنة 656هـ، ومناطق في بلاد الشام غير دمشق وحلب وحماة، مثل الكرك وزيزياء والقدس ونابلس.

- كان صدى سقوط المدن الإسلامية كبيرًا في الشعر العربي، وكثرت القصائد التي قيلت فيها، وفي وصف مصابها من جوانبها المختلفة، وتميّزت أغلبها بالطّول، وكان حضور المرأة ومصيرها كبيرًا فيها، فبعضها اكتفى بالإشارة إلى مصير المسلمين بعامة دون ذكر المرأة مباشرة كما في قصائد شمس الدين الكوفي الواعظ، وأبي عبد الله الشروي في رثاء بغداد، ولكنّ أكثرها تحدّث صراحة عن مصير المرأة المسلمة، فخصص بيتًا أو بيتين أو ثلاثة إلى 12 بيتًا على الترتيب في قصائده. ولم يقتصر الأمر على الشعراء الذين واكبوا سقوط المدن بيد المغول بل تحدّث شعراء في قصائدهم التي مدحوا بها النبي، صلّى الله عليه وسلّم، عن مصيرهنّ، وتناولهنّ آخرون في قصائد وصفوا بها هزائم المغول.

- كان هناك عناصر اتفاق واختلاف بين المضامين التي عبّر عنها المؤرخون والشعراء. أمّا عناصر الاتفاق، فهي:

أ- تحدّث الشعراء شأنهم شأن المؤرخين عمّا جرى للمرأة المسلمة من قتل وسبي وهتك وإذلال وتشتيت.

ب- حدّد الشعراء المناطق التي أصابها ذلك، وبخاصة بغداد وحلب ودمشق، وتحدّثوا عن نقل السبايا إلى بلاد المغول، وبيعهن في الجزائر الفرنجية، ولدى الأرمن، وتحدّثوا عن أن كثيرًا منهن غنيات مدللات من بنات الملوك، وتقاطعوا مع التاريخ حين ذكروا أنّ المغول انتهكوا عرضهن في الجامع الأموي سنة 699هـ، وتناوبوا عليهن سنة 803هـ أمام أهلهنّ.

أمّا عناصر الاختلاف، فيمكن إجمالها في الآتي:

أ- مزج الشعراء المعاني السابقة بخيالهم، وعبّروا عنها بأساليبهم المختلفة، وقد عبّر بعضهم عن ذلك بإجمال، في حين أتى آخرون بلوحات فنية متضامّة للتعبير عن ذلك، وتوسعوا فيها مازجين ما قدّموا بمشاعرهم وأحاسيسهم ولوعاتهم وآهاتهم، إثارة لحمية المسلمين، ورغبة في تحرّكهم لإنقاذ أعراضهم.

ب- لم يذكر الشعراء اسم أي امرأة سبيت أو قتلت في المدن المحتلة، في حين ذكر بعض المؤرخين أسماء بعضهن.

ت- توسّع الشعراء في رسم صورة السبي، فصوّروا كثرته، وأهواله، وقرنوه بيوم القيامة،

أتى على النساء جميعهن دون استثناء، وبخاصة في حلب سنة 658هـ، ودمشق سنة 699هـ.

ث- رسموا صورة لهنّ في السبي، والمغول ينقلهنّ عبر الصحاري، ويجرّهن مقيّدات، وينادي عليهن في الأسواق لبيعهن برغيف خبز أو ثمن بخس، ولا مشتر لهنّ لكثرتهنّ، ورسموا صورة لضعفهنّ وذلّهن، فاستوحوا صورة العصفور والماعز.

ج- تحدّث الشعراء عن انتهاك المغول أعراض النساء في بغداد سنة 656هـ، والشام 658هـ، وهذا لم يشر له المؤرخون، وصوّروا ما فعل النصارى في بغداد، والأرمن بنساء الصالحية بدمشق سنة 699هـ من هتك وسبي، فتميزوا بذلك عن الرواية التاريخية.

ح- وقفوا على عفّتن وترفهنّ، فهنّ بنات مدّللات غنيات ساكنات القصور، لم يعتدن الزجر والإهانة، وصوّروهن جميلات كالبدر والشمس والمهاة والدمى، بل جعلوهنّ كنساء الجنة وحورها، وصوروهن عذارى كواعب، وعبّروا عن عفّتهن، إذ صوروهنّ لم ترهن الشمس، ولم يرهن سوى آبائهن، وقد كنّ يخفين وجوههن عفّة والمغولي يعتدي عليهن.

خ- وقفوا عند اعتداء المغولي عليهن اغتصابًا، وانتهاكًا لعرضهنّ، ووصفوا المعتدي داعرًا وفاجرًا وكلبًا دنيئًا، كان يجرّ المسلمات للمكروه، ويعتدي عليهنّ ضربًا ولكما ولطمًا، ويشدّهن من شعورهنّ، فتسيل الدماء من وجوههن، ولا مجيب لنداءاتهنّ، وكان المغول يتناوبون عليهن، وينتهكون عرضهنّ أمام أهاليهنّ.

د- ذكروا ما فعل المغول بهنّ من قتل لأولادهنّ، وإجهاض لهنّ وبخاصة سنة 699هـ، وذكروا أن البلاد خلت منهنّ بعد أن كانت عامرة بالجميلات منهنّ.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة

- ابن حبيب، بدر الدين الحسن بن عمر الحلبي ت779هـ، درة الأسلاك في دولة الأتراك، الجزء الأوّل، مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، رقم 539 و5146 (صورة بالميكروفيلم).
- الكتبي، محمد بن شاكر ت764هـ، عيون التواريخ، الجزء التاسع عشر، مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، رقم 4257 (صورة بالمكيروفيلم).

المصادر المطبوعة

- القرآن الكريم
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني ت630هـ، الكامل في التاريخ، حقّقه واعتنى به: عمر عبد السلام تدمري، د. ط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1433هـ - 2012م.
- الإسكندراني، محمد بن قاسم بن محمد النويري ت775هـ، كتاب الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية، تحقيق: عزت سوريال عطيّة، د. ط، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدّكن، 1390هـ - 1970م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن بردزبة الجعبي ت256ه، صحيح البخاري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1412هـ - 1992م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي ت874هـ،

أ- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، الجزء السابع، حققه ووضع حواشيه: محمد أمين، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1414هـ- 1993م.

ب- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدّم له وعلّق عليه: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ- 1993م.

ت- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، د. ط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د. ت.

- البرزالي، علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف الإشبيلي الدّمشقي ت739ه، المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البِرْزالي، الجزء الثاني، القسم الأوّل، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، صيدا، لبنان، 1427هـ- 2006م.
- ابن حبيب، بدر الدين بن عمر الحلبي ت779هـ،

أ- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، الجزء الأول، حققه ووضع حواشيه: محمد أمين، د. ط، مطبعة دار الكتب، القاهرة، مصر، 1396هـ- 1976م

ب- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، الجزء الثاني، حققه ووضع حواشيه: محمد أمين، د.ط، مطبعة دار الكتب، القاهرة، مصر، 1402هـ - 1982م.

- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ت852هـ،

أ- أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1406هـ- 1986م.

ب- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، حقّقه وقدّم له ووضع فهارسه: محمّد سيّد جاد الحق، د. ط، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مصر، 1386هـ- 1966م.

- الدواداري، أبو بكر عبد الله بن أيبك ت713هـ،

أ- كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السابع وهو الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، د. ط، مصادر تاريخ مصر الإسلامية، يصدرها قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار، القاهرة، مصر، 1972-1391م.

ب- كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء الثامن وهو الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق: أولرخ هارمان، د. ط، مصادر تأريخ مصر الإسلامية يصدرها قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار، 1391هـ- 1971م.

ت- كنز الدرر وجامع الغرر وهو الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: هاني روبرت رويمر، د. ط، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مصر، د. ت.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت748هـ،

أ- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الجزء الثامن والأربعون، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1419هـ- 1999م.

ب- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الجزء الثاني والخمسون، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1421هـ- 2000م.

ت- ذيل تاريخ الإسلام، وهو الجزء الثالث والخمسون من تاريخ الإسلام، اعتنى به: مازن بن سالم باوزير، ط1، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

ث- العبر في خبر من غبر، حققه: أبو هاجر محمد بن السعيد بن بسيوني زغلول، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت.

- ابن سباط، حمزة بن أحمد بن عمر توفي بعد 926هـ، صدق الأخبار تاريخ ابن سباط، عني به وحقّقه: عمر عبد السلام تدمري، ط1، جروس برس، طرابلس، لبنان، 1413هـ- 1993م.
- السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ت771هـ، طبقات الشافعية الكبرى، الجزء الثامن، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، محمود الطناجي، د. ط، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، 1384هـ- 1964م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت911هـ، تاريخ الخلفاء، د. ط، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، 1371هـ- 1952م.
- ابن الشحنة، محب الدين أبو الوليد محمد بن محمد ت815هـ، روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، تحقيق: سيّد محمّد مَهنَى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ- 1997م.
- الشيرازي، سعدي، مصلح الدين مشرف بن عبد الله ت691، ديوان سعدي، ترجمه إلى الفارسية: أحمد مهداوي دامغاني، طهران، 1379هـ- 2000م.
- الصيرفي، نور الدين علي بن داود الجوهري ت900هـ، نزهة النفوس والأبدان، تحقيق وتعليق: حسن حبشي، د. ط، دار الكتب، القاهرة، مصر، 1391هـ- 1971م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك ت764هـ،

- أعيان العصر وأعوان النصر، حقّقه: علي أبو زيد، نبيل أبو عمشة، محمد موعد، محمود سالم محمد، قدّم له: مازن عبد القادر المبارك، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1418هـ- 1998م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1420هـ- 2000م.7
- ابن عربشاه، أحمد بن محمد بن عبد الله ت854هـ عجائب المقدور في أخبار تيمور، د. ط، المطبعة العثمانية، مصر، 1305هـ- 1888م.
- ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي أحمد الحنبلي الدمشقي ت1089هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، حقّقه وعلّق عليه: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1412هـ- 1992م.
- العيني، بدر الدين محمود ت855هـ،
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، الجزء الأول، حققه ووضع حواشيه: محمد أمين، الهيئة، د. ط، المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1407هـ- 1987م.
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، الجزء الثاني، حقّقه ووضع حواشيه: محمد أمين، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1408هـ- 1988م.
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، الجزء الرابع، حقّقه ووضع حواشيه: محمد أمين، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1408هـ- 1988م.
- الغزولي، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي ت815هـ، مطالع البدور ومنازل السرور، ط1، مطبعة إدارة الوطن، القاهرة، مصر، 1300هـ- 1883م.
- الغزّي، كامل بن محمّد بن مصطفى البابي الحلبي ت1351هـ، نهر الذهب في تاريخ حلب، د. ط، المطبعة المارونية، حلب، سوريا، 1345هـ- 1928م.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن شاهنشاه بن أيوب ت732هـ، تاريخ أبي الفداء المسمّى المختصر في أخبار البشر، علّق عليه ووضع حواشيه: محمود ديّوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1412هـ- 1997م.

- ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق البغدادي ت723ه، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ- 2002م.
- الكتبي، محمد بن شاكر ت764هـ،

أ- عيون التواريخ، الجزء العشرون، تحقيق: فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم داود، د. ط، دار الرشيد، بغداد، العراق، 1400هـ- 1980م.

ب- عيون التواريخ، الجزء الحادي والعشرون، تحقيق: فيصل السامر، نبيلة داود، د. ط، دار الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، العراق، 1404هـ- 1984م.

ت-فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عبّاس، د. ط، دار صادر، بيروت، لبنان، 1393 - 1394 / 1973م - 1974م.

- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي ت774هـ،

أ- البداية والنهاية، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، ط1، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1413هـ- 1992م.

ب- البداية والنهاية، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: رياض عبد الحميد مراد، محمد حسّان عبيد، راجعه: عبد القادر الأرناؤوط، بشار عوّاد معروف، طبعة خاصة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1436هـ- 2015م.

- مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري ت261هـ، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط2، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1398هـ- 1978م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي ت845هـ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ- 1997م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري ت711هـ، لسان العرب، ط3، نسّقه وعلّق عليه ووضع فهارسه: مكتب تحقيق التراث، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، 1413هـ- 1993م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ت733هـ، نهاية الأرب في فنون

الأدب، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، د. ت.

- الهمذاني، رشيد الدين فضل الله ت718هـ،

- تاريخ غازان خان، دراسة وترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد، د. ط، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، د. ت.

- تاريخ هولاكو، نقله إلى العربية: محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداوي، فؤاد عبد المعطي الصياد، راجعه وقدّم له: يحيى الخشّاب، د. ط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، د. ت.

- جامع التواريخ، المجلد الثاني، نقله إلى العربية: محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداوي، فؤاد عبد المعطي الصيّاد، راجعه وقدّم له: يحيى الخشّاب، د. ط، دار ‘حياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، 1380هـ- 1960م.

- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن نصر بن سالم ت697هـ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصريّة، صيدا، لبنان، 1425هـ- 2004م.

- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر ت749هـ، تتمة المختصر في أخبار البشر المسمّى تاريخ ابن الوردي، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ- 1996م.

- اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن قطب الدين البعلبكي الحنبلي ت726هـ،

أ- ذيل مرآة الزمان، المجلد الأول، ط1، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، 1374هـ- 1954م.

ب- ذيل مرآة الزمان، المجلد الأول، دراسة وتحقيق: حمزة أحمد عباس، د. ط، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1428هـ- 2007م.

ت- ذيل مرآة الزمان، المجلد الثالث، ط1، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، 1380هـ- 1960م.

المراجع المطبوعة

- براون، إدوراد جرانفيل، تاريخ الأدب العربي في إيران من الفردوسي إلى السعدي، نقله إلى العربية: إبراهيم أمين شواربي، د. ط، مطبعة السعادة، مصر، 1373هـ- 1954م.
- جرّار، مأمون فريز، أصداء الغزو المغولي في الشعر العربي من القرن السابع إلى القرن التاسع، ط1، مكتبة الأقصى، عمّان، الأردن، 1403هـ- 1983م.
- الطباخ، محمد راغب بن محمود بن هاشم الحلبي ت1951م، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، نقّحه ووقف على طباعته: محمد كمال، ط2، دار القلم العربي، حلب، سوريا، 1408هـ- 1988م.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1396هـ- 1976م.
- عاشور، فايد حمّاد، العلاقات السياسية بين الأتراك والمماليك والمغول في الدولة التركية الأولى، د. ط، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1397هـ- 1977م.
- عبد الرحيم، رائد، فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي الأول، ط1، دار الرازي، عمّان، الأردن، 1424هـ- 2003م.
- محمد، أحمد محمد (د.ت)، الغزو المغولي لبلاد الشام وآثاره(803هـ/ 1400 - 1401م)، د. ط، دار الهداية للنشر والتوزيع، د.ت.

الرسائل الجامعية

- عبد الرحيم، رائد، صورة المغول في الشعر العربي في العصر المملوكي، رسالة غير مطبوعة، الجامعة الأردنية، 1418هـ- 1997م.

References:

Manuscript Sources:

- Ibn Habib, Badr al-Din al-Hasan bin Omar al-Halabi, died on 779 AH, Dorat Aslak in the State of the Turks, Part One, Documentation Center and Handwriting at the University of Jordan, No. 539 and 5146 (microfilm image).
- Al-Ketbi, Muhammad bin Shakir, died on 764 AH, Oyoun Al-Twarekh [Dates' Eyes], Part Nineteen, Document and Manuscript Center at the University of Jordan, No. 4257 (microfilm photo).

Printed Sources:

- Abdul Rahim, Raed, Fan Al-Ritha' fi Al Shi'r Al Arabi fi Al Asr Al Mamlouki Al Awal [The Art of Lamentation in Arabic Poetry in the First Mamluk Era], 1st Edition, Dar Al-Razi, Amman, Jordan, 1424 AH - 2003 AD.
- Abu al-Fida, Imad al-Din Ismail bin Shahanshah bin Ayoub, died on 732 A.H., the history of Abu al-Fida, named Al Mukhtasar Fi Akhbar Al Bashar [The briefing in the news of human beings], commented on it and added its footnotes: Mahmoud Dayoub, 1st Edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1412 AH-1997AD.
- Al-Aini, Badr Al-Din Mahmoud, died on 855 A.H.,

- Al-Ghazi, Kamil bin Muhammad bin Mustafa Al-Babi Al-Halabi, died on 1351 A.H., Nahr Al Zahab fi Tarekh Halab [The Golden River in the History of Aleppo], printing house; The Maronite Press, Aleppo, Syria, 1345 AH-1928 AD.
- Al-Ghazouli, Alaa Al-Din Ali bin Abdullah Al-Baha'i, died on 815 A.H., Mutla' Al-Badour and Manazel Al-Surour, 1st Edition, Home Administration Press, Cairo, Egypt, 1300 A.H.-1883 A.D.
- Aqd Al Juma Fi Tarekh Ahl Al- Zaman [The Juman Contract in the History of the People of Time], Part One, Edited by Muhammad Amin, The Authority, printing house; The General Egyptian Book, Cairo, Egypt, 1407 AH-1987 AD.
- Aqd Al Juma Fi Tarekh Ahl Al- Zaman [The Juman Contract in the History of the People of Time], Part Two, Edited by Muhammad Amin, The Authority, printing house; The General Egyptian Book, Cairo, Egypt, 1408 AH-1988 AD.
- Aqd Al Juma Fi Tarekh Ahl Al- Zaman [The Juman Contract in the History of the People of Time], Part Four, Edited by Muhammad Amin, The Authority, printing house; The General Egyptian Book, Cairo, Egypt, 1408 AH-1988 AD.

- Al-Barzali, Alam Al-Din Abu Muhammad Al-Qasim bin Muhammad bin Yousef Al-Ishbili Al-Dimashqi, died on 739 AH, Al-Maqtafi 'Ala kitab Al-Rawdatain known as the History of Al-Barzali, Part Two, Section One, Edition: Omar Abdel Salam Tadmuri, 1st Edition, Sharif Al-Ansari Sons Company for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, Saida, Lebanon, 1427 AH - 2006 AD.

- Al-Bukhari, Abu Abdullah Muhammad bin Ismail bin Bardzba Al-Jabi, died on 256 AH, Sahih al-Bukhari, first edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1412 AH-1992 AD.

- Al-Dhahabi, Shams Al-Din Muhammad bin Ahmed bin Othman, died on 748 AH,

A- The History of Islam and the Deaths of Celebrities and well-known people, Part Forty-Eight, Edition: Omar Abdel Salam Tadmuri, 1st Edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, Lebanon, 1419 AH-1999 AD

B- The History of Islam and the Deaths of Celebrities and well-known people, Part Fifty-Second, Edition: Omar Abdel Salam Tadmuri, 1st Edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, Lebanon, 1421 AH-2000AD.

C- The footer of the history of Islam, which is the fifty-third part of the history of Islam, taken care of by: Mazen bin Salem Bawazeer, 1st Edition, Dar Al-Mughni for Publishing and Distribution, Riyadh, Saudi Arabia.

D- Al Ebar Fi khabar mn Ghabar [Lessons in a story from the dust], achieved by: Abu Hajar Muhammad bin Al-Saeed bin Bassiouni Zaghloul, printing house; Scientific Books House, Beirut, Lebanon, D.T.

- Al-Dawadari, Abu Bakr Abdullah bin Aybak, died on 713 A.H.,

A- Kanz Al-Durar wa Jame' Al-Gharar, Part VII, which is Al Durr Al Matloub fi Akhbar Muluk Bani Ayyoub, edition: Saeed Abdel Fattah Ashour, printing house; Sources of Islamic History of Egypt, issued by the Department of Islamic Studies at the German Institute of Archeology, Cairo, Egypt, 1391-1972 AD.

B- Kanz Al-Durar wa Jame' Al-Gharar, Part VIII, which is Al Dura Al Zakiya fi Akhbar Al Dawla Al Turkiya, edition: Ulrich Harmann, printing house; Sources of the History of Islamic Egypt issued by the Department of Islamic Studies at the German Institute of Archeology, 1391 AH-1971AD.

C- Kanz Al-Durar wa Jame' Al-Gharar, which is Al-Durr Al-Fakher in the biography of King Al-Nasir, edition: Hani Robert Roemer, Printing house; Authoring and Translation Committee Press, Cairo, Egypt, d. T.

- Al-Hamadhani, Rashid Al-Din Fadlallah, died on 718 A.H;

- The History of Ghazan Khan, studied and translated by: Fouad Abdul Muti Al-Sayyad, printing house; copyright reserved to the author, d. T.
- The History of Hulaku, translated into Arabic by: Muhammad Sadiq Nashaat, Muhammad Musa Hindawi, Fouad Abd al-Muti al-Sayyad, reviewed and presented to him by: Yahya al-Khashab, printing house; House of Revival of Arabic Books, Cairo, Egypt, d. t.
- Jami' al-Tawarikh, Volume Two, translated into Arabic by: Muhammad Sadiq Nashaat, Muhammad Musa Hindawi, Fouad Abd al-Muti al-Sayyad, reviewed and presented to him by: Yahya al-Khashab, printing house; Dar Haya' Al Kutub Al Arabia, Cairo, Egypt, 1380 AH-1960 AD.

• Al-Iskandarani, Muhammad bin Qasim bin Muhammad Al-Nuwairi, died on 775 AH, the book of knowledge of the media regarding the rulings and matters decided in the case of Alexandria, investigation: Izzat Surial Attia, printing house; Ottoman Knowledge Circle Press, Hyderabad Deccan, 1390 AH-1970AD.

• Al-Ketbi, Muhammad bin Shakir, died on 764 AH,

A- Oyoun al Tawreikh [The Eyes of History], Part Twenty, Edition: Faisal Al-Samer, Nabila Abdel Moneim Daoud, printing house; Dar Al-Rasheed, Baghdad, Iraq, 1400 AH-1980 AD.

B- Oyoun Al-Tawreikh [The Eyes of History, Part Twenty-first, edited by: Faisal Al-Samer, Nabeela Daoud, printing house; House of Cultural Affairs and Publishing, Baghdad, Iraq, 1404 AH-1984 AD.

C- Fawat Al Wafiat wa Al Zayel Alyha, edition: Ihsan Abbas, printing house; Dar Sader, Beirut, Lebanon, 1393-1394/ 1973-1974AD.

• Al-Maqrizi, Taqi Al-Din Ahmed bin Ali, died on 845 AH, Al Solouk Fi Ma'refet Dowal Al Muluk [The Behavior to Know the Countries of Kings], edition: Muhammad Abdul Qadir Atta, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1418 AH-1997AD.

• Al-Nouiri, Shihab Al-Din Ahmed bin Abdul-Wahhab Al-Nouiri, died on 733 AH, Nehayet al Arb Fi Funun al Adab [The End of Al-Arb in the Arts of Literature], a photocopy of the edition of Dar Al-Kutub, Ministry of Culture and National Guidance, the Egyptian General Organization for Authoring and Translation, Cairo, Egypt, D. T.

• Al-Safadi, Salah Al-Din Khalil bin Aybak, died on 764 A.H., A'yan Al Asr wa A'wa Al Nasr [Notables of the Age and Auxiliaries of Victory], Edited by: Ali Abu Zaid, Nabil Abu Amsha, Muhammad Mawd, Mahmoud Salem Muhammad,

presented to him by: Mazen Abdel Qader Al Mubarak, 1st Edition, Dar Al Fikr Al Contemporary, Beirut, Lebanon. Dar Al-Fikr, Damascus, Syria, 1418 AH-1998 AD.

- Al-Serafy, Nour Al-Din Ali bin Daoud Al-Gawhari, died on 900 A.H., Nuzhat Al-Nufus wa Al-Abdan, edition and commentary: Hassan Habashi, printing house; Dar al-Kutub, Cairo, Egypt, 1391AH-1971AD.
- Al-Shirazi, Saadi, Musleh Al-Din Musharraf bin Abdullah, died on 691, Diwan Saadi, translated into Persian by: Ahmad Mahdawi Damghani, Tehran, 1379 AH-2000AD.
- Al-Subki, Taj Al-Din Abu Nasr Abdel-Wahhab, died on 771 AH, Tabaqat Al-Shafi'i Al-Kubra, Part VIII, edited by: Abdel-Fattah Al-Helou, Mahmoud Al-Tanaji, printing house; Issa Al-Babi Al-Halabi and Co. Press, Cairo, Egypt, 1384 AH-1964 AD.
- Al-Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman bin Abi Bakr, died on 911 AH, The History of the Caliphs, printing house; Al-Saada Press, Cairo, Egypt, 1371 AH-1952 AD.
- Al-Yunini, Qutb Al-Din Abu Al-Fath Musa bin Muhammad bin Qutb Al-Din Al-Baalbaki Al-Hanbali, died on 726 A.H.,

A- Thayel Mira'at Al Zaman [The Tail of the Mirror of Time], Volume One, 1st Edition, Ottoman Knowledge Circle Press, Hyderabad Deccan, India, 1374 AH - 1954 AH.

B- Thayel Mira'at Al Zaman [The Tail of the Mirror of Time], Volume One, Studied and edited by: Hamza Ahmed Abbas, printing house; Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage, Cultural Foundation, Abu Dhabi, United Arab Emirates, 1428 AH - 2007 AD.

C- Thayel Mira'at Al Zaman [The Tail of the Mirror of Time], Volume III, 1st Edition, Ottoman Encyclopedia Press, Hyderabad Deccan, India, 1380 AH-1960 AD.

- Ibn al-Atheer, Izz al-Din Abu al-Hasan Ali ibn Abi Karam al-Shaibani, died on 630 AH, al-Kamil fi al-Tarikh, verified and cared for by: Omar Abdel Salam Tadmuri, Printing house; Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, Lebanon, 1433 AH-2012 AD.
- Ibn al-Fawti, Kamal al-Din Abu al-Fadl Abd al-Razzaq al-Baghdadi, died on 723 AH, Al Hawadeth Al Jame'a Wa Al Tajarub Al Nafi'a fi Al Ma'a Al Sabe'a [Comprehensive accidents and beneficial experiences in the seventh century], Edited

by: Mahdi al-Najm, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1424 AH-2002 AD.

- Ibn al-Imad, Shihab al-Din Abu al-Falah Abd al-Hay Ahmad al-Hanbali al-Dimashqi, died on 1089 AH, Shazarat al-Zahab fi Akhbar Min Zahab, supervised its edition and published his works: Abd al-Qadir al-Arna`ut, editied and commented on by: Mahmoud al-Arna`ut, 1st Edition, Dar Ibn Katheer, Damascus, Beirut, 1412 AH. -1992 AD.

- Ibn Al-Shihnah, Muhib Al-Din Abu Al-Walid Muhammad bin Muhammad, t. 815 AH, Rawd Al-Manar in the Science of the Early and Late Ones, investigation: Seyyed Muhammad Muhanna, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1417 AH-1997AD.

- Ibn Arabshah, Ahmed bin Muhammad bin Abdullah, died on 854 AH, Ajab al-Maqdour fi Akhbar Timor, printing house; The Ottoman Press, Egypt, 1305 AH-1888 AD.

- Ibn al-Wardi, Zain al-Din Omar Ibn Muzaffar, died on 749 AH, Tatemet Al Mukhtasar fi Akhbar Al Bashar [The sequel to the summary in the news of humans] called Tarikh Ibn al-Wardi, printing house; Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1417 AH-1996 AD.

- Ibn Habib, Badr al-Din Ibn Omar al-Halabi, d. 779 AH,

A- Tadhkira al-Nabih fi Ayyam al-Mansur w abna'oh, Part One, Edited by Muhammad Amin, printing house; Dar Al-Kutub Press, Cairo, Egypt, 1396AH-1976AD.

B- Tadhkira al-Nabih fi Ayyam al-Mansur w abna'oh, Part One, Part Two, edition and footnotes by: Muhammad Amin, printing house; Dar al-Kutub Press, Cairo, Egypt, 1402 AH - 1982 AD.

- Ibn Hajar al-Asqalani, Shihab al-Din Abu al-Fadl Ahmed bin Ali, died on 852 AH,

A- Anba' Al Ghamer bi Anba' Al Omor, 3rd edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1406 AH-1986 AD.

B- Al Durar Al Kamina fi A'yan al Mi'a al Thamina, edited, presented to and put in his indexes: Muhammad Sayyid Jad al-Haq, printing house; Modern Book House, Cairo, Egypt, 1386 AH-1966 AD.

- Ibn Katheer, Abu al-Fida' al-Hafiz al-Dimashqi, died on 774 AH,

A- Al Bidaya Wa Al Nihaya [The Beginning and the End], edition: Ahmed Abdel-Wahhab Fitaih, 1st Edition, Dar Al-Hadith, Cairo, Egypt, 1413 AH-1992 AD.

B- Al Bidaya Wa Al Nihaya [The Beginning and the End], edited and extracted and commented on by: Riyad Abdel Hamdi Murad, Muhammad Hassan Obaid, revised by: Abdel Qader Al Arnaout, Bashar Awwad Maarouf, special edition, Ministry of Endowments and Islamic Affairs, Qatar, 1436 AH - 2015 AD.

- Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram al-Ansari, died on 711 AH, Lisan al-Arab, 3rd edition, coordinated and commented on and indexed by: Heritage Investigation Office, Arab Heritage Revival House, Arab History Foundation, Beirut, Lebanon, 1413 AH-1993AD.
- Ibn Sibat, Hamza bin Ahmed bin Omar, died after 926 AH, Sidq Al Akhbar Tarikh Ibn Sibat, it was written and edited by: Omar Abdel Salam Tadmuri, 1st edition, Gross Press, Tripoli, Lebanon, 1413 AH-1993AD.
- Ibn Taghri Bardi, Jamal Al-Din Abu Al-Mahasin Youssef Al-Atabki, died on 874 A.H.,

A- Al-Manhal Al-Safi and Al-Mustafa ba'd Al-Wafi, Part VII, Edited by: Muhammad Amin, printing house; The Egyptian General Book Organization, Cairo, Egypt, 1414 AH-1993AD.

B- An-Nojoum Al Zahira fi Muluk Misr wl Qahera [The Shinning stars in Egypt and Cairo's kings], presented and commented on by: Muhammad Hussein Shams al-Din, first edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1413 AH-1993 AD.

C- An-Nojoum Al Zahira fi Muluk Misr wl Qahera [The Shinning stars in Egypt and Cairo's kings], a photocopy of the printing house edition, printing house; The Egyptian General Corporation for Authoring, Translation, Printing and Publishing, Cairo, Egypt, D. T.

- Ibn Wasel, Jamal al-Din Muhammad bin Salem bin Nasr bin Salem, died on 697 AH, Mufarrej al-Karub fi Akhbar Bani Ayyub, Edition: Omar Abd al-Salam Tadmuri, 1st Edition, Al-Mataba al-Asri, Saida, Lebanon, 1425 AH-2004 AD.
- Muslim ibn al-Hajjaj, Abu al-Husayn al-Qushayri al-Nisaburi, died on 261 AH, Sahih Muslim, edition: Muhammad Fouad Abd al-Baqi, 2nd edition, Dar al-Fikr, Beirut, Lebanon, 1398 AH-1978 AD.
- The Holy Quran

Printed References:

- Al Tabakh, Muhammad Ragheb bin Mahmoud bin Hashem al-Halabi, died on 1951 AD, I'lam Al Nubala' bi Tarekh Halab Al Shubaha', revised and printed by: Muhammad Kamal, 2nd Edition, Dar Al-Qalam Al-Arabi, Aleppo, Syria, 1408 AH-1988 AD.
- Ashour, Said Abdel-Fattah, Al Haraka Al Salibya [The Crusade Movement], 3rd Edition, Anglo-Egyptian Library, Cairo, Egypt, 1396 AH-1976 AD.
- Ashour, Fayed Hammad, Political Relations between the Turks, the Mamluks and the Mongols in the First Turkish State, printing house, Dar Al Maaref, Al-exandria, Egypt, 1397 AH-1977 AD.
- Brown, Edward Granville, History of Arabic Literature in Iran from Ferdowsi to Saadi, Translated into Arabic: Ibrahim Amin Shawarbi, printing house; Al-Saada Press, Egypt, 1373AH-1954AD.
- Jarrar, Mamoun Fariz, Echoes of the Mongol Invasion in Arabic Poetry from the Seventh to the Ninth Century, 1st edition, Al-Aqsa Library, Amman, Jordan, 1403 AH-1983AD.
- Muhammad, Ahmed Muhammad (D.T), the Mongol invasion of the Levant and its effects (803 AH/ 1400-1401 AD), Printing house; Dar Al-Hedaya for Pub-lishing and Distribution, D.T.

Articles:

- Abd al-Rahim, Raed, Sorat Al Maghoul fi Al Shi'r Al Arabi fi Al Asr Al Mamlouki [The Image of the Mongols in Arabic Poetry in the Mamluk Era], unpublished letter, University of Jordan, 1418 AH-1997AD.